الأحاديث المنتقاة

في

فضائل سيدنا رسول الله

تأليف

حضرة صاحب الفضيلة والسيادة مولانا الإمام الجليل
والمحدث الكبير أبي الفضل السيد عبد الله ابن شيخ الإسلام
السيد محمد بن الصديق الغماري الحسني رضي الله عنهما آمين

مطبعة دار الكتاب العربي
شارع فاروق بمصر
تليفون ٥٠٩٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذى ما زال بالكرم معروفا . وبالإحسان موصوفا . سبحانه خص سيدنا ومولانا محمداً بخصائص لم يفز بها أحد من العالمين . ومنحه مزايا لم ينلها قبله نبي من المرسلين . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي المصطفى والحبيب المجتبى . وأمين الله تعالى على وحى السماء . ورضى الله عن آله أهل الصدق والوفاء . وأصحابه أئمة الإخلاص والصفاء . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين (أما بعد) فقد بلى المسلمون فى عصرنا هـذا بقوم جهلوا مقام سيد المرسلين . وخاتم النبيين . المبعوث رحمة للعالمين . فأنكروا حياته فى قبره الشريف . كما أنكروا عرض أعمال أمته عليه فى مقامه المنيف . بل زادوا فى ذلك فذكروه على ألسنتهم بغير ألقاب التعظيم . وتطوروا فى ذلك فحرموا زيارة قبره الكريم . ومنهم من أنكر معجزاته الظاهرة . وأبطل العمل بسنته الزاهرة . فعند ذلك قام شيخنا و إمامنا السيد الجليل والمحدث الكبير أبو الفضل السيد عبد الله ابن شيخ الإسلام الإمام محمد بن الصديق الغمارى الحسنى رضى الله عنهما . فجمع هذا الكتاب الجليل الأمر . العظيم القدر . المسمى بالأربعين حديثا منتقاه فى فضائل مولانا رسول الله فما ترك فيه لجاهل بمقام النبي صلى الله عليه وسلم حجة إلا وردها . ولا شبهة إلا وأزاحها . وذلك بأسلوب يأخذ بالألباب . وأدلة ساطعة من السنة والكتاب . مع فوائد ومزايا لا توجد فى غيره من المؤلفات . أدام الله النفع به و بكتابه لسائر المسلمين . إنه سميع مجيب . والحمد لله رب العالمين .

ابراهيم أحمد محمد شحاته الرازقى
الصديقى عفى عنه

الجمعة ٢٢ محرم الحرام سنة ١٣٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد . الفرد الصمد . الذى لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد . أحمده تعالى وأثنى عليه وأشكره . وأستهديه سبحانه وأستعينه وأستغفره . وأشهد أن لا إله إلا هو المتفرد بالخلق والإيجاد . المنزه فى ذاته وصفاته وأفعاله عن الشركاء والأنداد . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله . وصفيه وخليله . جعله نبياً وآدم منجدل فى الطين . وأخذ الميثاق به على جميع النبيين . ثم بعثه مؤيَّداً بالمعجزات الباهرات . وفضله بأنواع الخصائص والمكرمات . فشرح صدره . ورفع ذكره . وأعلى قدره . وأعظم أجره . وختم به الرسل والأنبياء . وكتب لشريعته الخلود والبقاء . إلى يوم الجزاء . صلى الله وسلم وبارك عليه . وزاده شرفا وكرامة لديه . وأعطاه من صنوف الفضل ما لا يصل أحد إليه . ورضى عن آله وأصحابه . وكل من اندرج فى زمرة أتباعه وأحبابه . أما بعد . فهذه « أربعون حديثا منتقاه . فى فضائل مولانا رسول الله » خدمت بها الجناب النبوى . وأتحفت بها المحبين لمقامه العلى . وجعلتها وسيلة أنال بها شفاعته يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ومن الحميم الوفى . تقبلها الله بقبول حسن . وأذهب عنا كل كرب وهم وحزن . بفضله وجوده . إنه ذو الفضل العظيم . وصاحب الجود الواسع العميم . لا يرد من سأله . ولا يخيب من أمله . لا سيما وقد استشفعنا إليه بأكرم خليقته . وأفضل بريته . سائلين منه — سبحانه — أن يحقق رجاءنا . ويقبل دعاءنا . ويمحو وزرنا . ويجبر كسرنا . إنه قريب مجيب ؟

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم
وَبِهِ نَسْتَعِين

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قالوا يا رسولَ اللهِ مَتَى وَجَبَتْ لكَ النبوةُ قالَ: وَآدَمُ بين الرّوحِ وَالجسَدِ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب.

---

(١) قوله متى وجبت لك النبوة، هكذا في هذه الرواية وهي أيضا رواية الحاكم وأبي نعيم والبيهقي وصححها الحاكم أيضاً، وفي رواية. متى كتبت نبياً؟ قال: كتبت نبياً وآدم بين الروح والجسد، وهذه رواية أبي عمرو إسماعيل بن نجيد في جزئه، وفي رواية: متى كنت نبياً، وهي رواية ميسرة الآتية في الحديث الثاني ومثلها رواية ابن عباس عند البزار والطبراني وأبي نعيم ورواية ابن أبي الجدعاء عند ابن سعد وابن قانع ورواية مطرف بن عبد الله بن الشخير عند ابن سعد. وفي رواية الشعبي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: متى استنبئت؟ قال وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق. رواها ابن سعد أيضاً لكن الراوي عن الشعبي جابر الجعفي وعن الصنابحي قال قال عمر: متى جعلت نبياً؟ قال: وآدم منجدل في الطين، رواه أبو نعيم في الدلائل، وهذه الروايات متقاربة والمراد بها الإخبار بوجوب نبوته أي ثبوتها لروحه الشريفة المخلوقة قبل الأرواح ورواية: متى كتبت معنى الكتابة فيها الوجوب والثبوت في الخارج أيضاً فإن الكتابة تستعمل فيما هو واجب ظاهر في الخارج نحو: «كتب عليكم الصيام. كتب الله لأغلبن. كتب عليكم القصاص». وحاصل المعنى أن الله تعالى أفاض على روح نبيه الشريفة أو حقيقته[١] المحمدية وصف النبوة في وقت كان آدم لا يزال =

---

(١) وهذا ما يقصده أصحاب السير والموالد بقولهم: خلق نوره قبل الأشياء لأن =

= طريحاً على الأرض قبل نفخ الروح فيه ، وإفاضة النبوة فى هذا الوقت تستلزم تقدم خلقه على غيره كما هو ظاهر ، ولهذا جاء من طرق عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم » الآية قال : كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث ، فبدأ به قبلهم . رواه ابن أبى حاتم وغيره ، ورواه ابن سعد عن قتادة مرسلا بلفظ : كنت أول الناس فى الخلق وآخرهم فى البعث ، قال المناوى فى شرح الجامع الصغير مانصه : جعله الله حقيقة تقصر عقولنا عن معرفتها وأفاض عليها وصف النبوة من ذلك الوقت ، ثم لما انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى الظاهر ظهر بكليته جسما وروحا اهـ وفى حديث الإسراء من رواية أبى هريرة : وجعلنى فاتحاً وخاتماً أى فاتحاً لخلق الموجودات خاتماً لظهور النبوات ، ولذا كان من أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم الفاتح الخاتم . وقد أجاد فى تقرير هذا المعنى وإيضاحه الإمام الحافظ تقى الدين السبكى فى رسالة التعظيم والمنة فى « لتؤمنن به ولتنصرنه » وهى مطبوعة فى فتاويه ، ونقل كلامه الحافظ السيوطى فى الخصائص الكبرى والقسطلانى فى المواهب اللدنية وغيرهما ﴿ تنبيه ﴾ عرض زكى مبارك فى كتاب (التصوف الإسلامى) لموضوع الحقيقة المحمدية وزعم أن الصوفية تغالوا فيها كتغالى النصارى فى الحقيقة العيسوية وتكلم على أحاديث : كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد فزعم بطلانها ، وأيد زعمه بنقل كلام الذهبى فى الميزان على بعض رجال هذه الأحاديث وكل ما أبداه خطأ فاحش ؛ فإن الصوفية لم يتغالوا بل ذكروا ما فهموه من الأحاديث بحسب ما ألهمهم الله ، ومن عادة الذهبى أنه يصرح فى (الميزان) ببطلان الحديث الصحيح ، بل المتواتر أحياناً وهو يعلم صحته أو تواتره ولا يقصد بطلانه إطلاقا ، ولكن يقصد بطلانه من طريق الراوى المترجم فقط ، وهذه عادة كل من تكلم فى الضعفاء كابن حبان وابن عدى والعقيلى ، وهذا أمر معروف لمن مارس علم الحديث ، فاعتماد زكى مبارك على (الميزان) فى إبطال الأحاديث المذكورة جهل كبير لايليق إلا بأمثاله .

= روحه الشريف كان موجوداً متصفاً بالنبوة قبل نفخ الروح فى آدم كما تبين والروح جسم نورانى لطيف كما حققه ابن القيم وغيره ، وكذا إذا قلنا أن المراد حقيقته فإنها أمر نورانى تقصر عقولنا عن معرفته إذ الحقائق تقصر العقول عن معرفتها كما قال التقى السبكى فى رسالة التعظيم والمنة .

(٢) عن مَيْسَرَةَ الفَجْرِ قال: « قلت يا رسولَ اللهِ متى كنت نبيا ؟ قال: وآدمُ بين الرُّوح والجسَدِ » رواه الإمام أحمد والبخارى فى التاريخ، والطبرانى والحاكم وصححه وقال الحافظ: سنده قوى قلت: وروله أبو الحسين بن بشران: ومن طريقه ابن

---

(٢) قوله: متى كنت نبياً الحديث، تقدم شرح معنى كونه نبياً فى الحديث قبله بما لامزيد عليه، غير أن بعض العلماء ذكر أن المراد بهذا الحديث وما فى معناه ثبوت نبوته فى علم الله وتقديره، وأن المعنى كنت نبياً فى تقدير الله وآدم بين الروح والجسد، وكذلك قال فى حديث: كنت أول النبيين فى الخلق، أن المراد بالخلق التقدير لا الإيجاد أى كنت أولهم فى التقدير. هذا حاصل ما ذكره وهو باطل لوجوه « الأول » أن نبوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثابتة فى علم الله وتقديره منذ الأزل فتخصيصها بوقت كون آدم بين الروح والجسد لغو يجب تنزيه الحديث عنه « الثانى » أن نبوة الأنبياء عليهم السلام بل الموجودات كلها ثابتة فى علم الله وتقديره فلم يبق للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا خصوصية على غيره والحديث إنما أتى لبيان الخصوصية فلابد أن يكون فيه معنى زائد لا يشاركه فيه غيره وإلا كان الحديث من قبيل العبث، وذلك باطل « الثالث » أن الصحابة الذين سألوه بقولهم: متى كنت نبياً ؟ كانوا يعلمون أن نبوته ثابتة فى علم الله وتقديره، بل كانوا يعلمون أن الأشياء كلها ثابتة فى علم الله وتقديره، فهم بالضرورة إنما أرادوا بسؤالهم قدراً زائداً على ما كانوا يعلمون « الرابع » أن عمر رضى الله عنه سأله: متى جعلت نبياً ؟ وهذا اللفظ صريح فى التصيير أى متى صيرت نبياً، وذلك لايتأتى إلا فى موجود يصح اتصافه بالصفة التى صير إليها كما تقول جعلت قطعة الذهب خاتما أى صيرتها كذلك وقد كانت القطعة قبل ذلك موجودة، غير أنها لم توصف بالخاتمية إلا بعد الجعل والتصيير « الخامس » أن وجود الأشياء فى علم الله وتقديره لايتصور فيها أسبقية بعضها على بعض، فلا يصح أن يقال كنت أول النبيين فى الخلق لما يلزم عليه مما لا يليق =

الجوزى فى كتاب الوفا بفضـــائل المصطفى بلفظ : قلت يارسولَ اللهِ متى كنتَ نبيا ؟ قال : لما خلق اللهُ الأرضَ واستوى إلى السماءِ فسواهن سبعَ سماواتٍ وخلق العرشَ كتبَ على ساقِ العرشِ محمدٌ رسولُ اللهِ خاتمُ الأنبياءِ وخلقَ اللهُ

= بالله سبحانه وتعالى ، وإنمـا تصح الأولية فى الخلق بمعنى الإيجاد لأنه صفة فعل يتصور معه أسبقية بعض الحوادث على بعض كما دل عليــه القرآن والسنة ، فتبين من هذا بطلان ما ذكره البعض وتعين ما ذكرناه وهو أن الله أفاض على روح نبيه الشريفة أو على حقيقته المحمدية وصف النبوة وخلع عليها خلعة القرب وآدم بين الروح والجسد تمييزاً له على سائر المخلوقات ، واصطفاء له من بين أنواع الموجودات ، فهو خلاصــة النوع الإنسانى ، وسيد الثقلين ، وأبو الأنبياء ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلى هذا أشار ابن الفارض على لسان الحضرة المصطفوية :

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهـد بأبوتى

يقصد بالمعنى الشاهد النور الذى كان على جبين آدم عليه الصلاة والسلام ، ثم انتقل إلى شيث من بعده وهكذا على ما ثبت فى كتب السيرة النبوية والله أعلم . قوله : وقال الحافظ سنده قوى ، إذا أطلق الحافظ أو شيخ الإسلام ، فالمراد به فى عرف أهل الحديث هو الحافظ ابن حجر العسقلانى الذى كان أعجوبة الدنيا فى كثرة الحفظ وسعة الاطلاع والقدرة على الجمع بين الأحاديث المتعارضة وكتبه ناطقة بذلك ، كان يسمى أمير المؤمنين فى الحديث وهو كذلك بحق ، توفى سنة ٨٥٢ هـ رحمه الله ورضى عنه وأعلى قدره فى عليين . قوله ورواه أبو الحسين ابن بشران ، اسمه على بن محمد بن عبد الله بن بشران العدل البغدادى أحد شيوخ البيهقى يروى عنه كثيراً فى كتبه كالأسماء والصفات والسنن والدلائل وغيرها ، وفى مكتبتنا من كتب ابن بشران كتاب (الفوائد الحسان) يشتمل على أحاديث وآثار مسندة . قوله : لما خلق الله الأرض الحديث ، اشتملت هذه الرواية على مسائل « الأولى » أن الله تعالى كتب اسم نبيه على ساق العرش وأبواب الجنة =

الجَنَّةَ التى أسكَنَها آدَمَ وحَوَّاءَ فَكتبَ اسمى على الأبوابِ والأوْراقِ والقِبابِ والخِيامِ وآدمُ بين الرُّوحِ والجسَدِ فلما أحيَاهُ اللهُ تعالى نَظَرَ إلى العَرشِ فرأَى اسْمِي فأخبَرَهُ اللهُ أنه سيدُ ولدِكَ فلما غرهما الشيطانُ تابا واستشْفَعَا باسمِي إليهِ ،
وإسناد هذه الرواية قوى أيضا .

= وأوراقها وقبابها وخيامها إعلاماً لآدم والملائكة بمنزلته عنده ، وفى ذلك من التنويه والرفعة مالا يخفى «الثانية» قوله : وخلق الله الجنة التى أسكنها آدم وحواء قد يؤخذ منه أنها غير جنة الخلد المعهودة ، بل هى جنة خلقت لسكنى آدم وحواء وفى ذلك خلاف طويل ليس هذا موضع تفصيله «الثالث» قوله فاخبره أنه سيد ولدك ، فيه دليل على أنه سيد ولد آدم ، والمراد به النوع الإنسانى فيشمل آدم أيضا والأحاديث بثبوت سيادته صلى الله عليه وآله وسلم متواترة سردها بأسانيدها . شقيقنا الحافظ المجتهد أبو الفيض السيد أحمد فى كتاب (تشنيف الآذان) وهو مطبوع «الرابعة» قوله : تابا واستشفعا باسمى إليه ، فيه دليل على جواز التوسل به من وجهين «الأول» أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم حكاه وأقره «الثانى» أن الدعاء لا يختلف باختلاف الشرائع والأديان . فإذا جاز نوع منه فى عهد آدم مثلا دل على جوازه فى سائر العهود . وهذا الحديث يقوى حديث توسل آدم الذى صححه الحاكم وقال الذهبى انه موضوع والصحيح أنه ضعيف فقط كما صرح به البيهقى فى دلائل النبوة ، وهذا الكتاب قال عنه الذهبى نفسه : عليك به فكله هدى ونور . وقد بسطت الكلام عليه فى كتاب (الرد المحكم المتين) . قوله وإسناد هذه الرواية قوى أيضا ، لأنه عين إسناد الرواية الأولى التى صححها الحاكم وقواها الحافظ ، غير أن هذه الرواية مطولة وتلك مختصرة ، وهذا أمر معهود بين رواة الحديث ، فإن الراوى تارة يكون عنده نشاط فيذكر الحديث بتمامه ، وتارة يقتصر منه على ما يرى أن الحاجة داعية إليه ، وتارة يسند ، وأخرى يرسل ، ومن هنا كان جمع طرق الحديث والوقوف على ألفاظه المتعددة =

(٣) عن على عليه السلام أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : «خَرجتُ من نكاحٍ ولم أخرُجْ مِن سِفاحٍ من لدُن آدمَ إلى أن ولَدَنِي أَبي وأمي لم يُصِبْني من سِفاحِ الجاهليةِ شئ» ، رواه الحافظ محمد بن يحيي بن أبي عمر العدَنى فى مسنده قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : أشهد على أبي يحدثنى عن أبيه عن جده عن على به ، وهذا مسلسل بأهل البيت النبوى الشريف ، ورواه أيضا الطبرانى فى المعجم الأوسط وأبو نعيم فى دَلائل النبوة وابن عساكر فى التاريخ ، وورد نحوه من حديث ابن عباس وعائشة وغيرهما .

= شرطا فى فهمه حق الفهم ، وهذه الطريقة سلكها الحافظ فى (فتح البارى) فكان كتابه أكمل الشروح وأوفاها ، واستعان بها على حل مشكلات من الأحاديث استعصت على غيره ممن سبقه ، والله الموفق .

(٣) قوله : خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح . أخرج بفتح الهمزة وضم الراء مبنيا للفاعل ، هكذا تلقيته عن شقيقى الحافظ أبى الفيض أثناء حضورنا عليه بزاويتنا الصديقية بطنجة ، عمرها الله بذكره وهو المتجه من جهة المعنى أيضا ، فاحتمال بنائه للمجهول كما فهم بعض الناس غلط ، والسفاح بكسر السين الزنا . وهذا الحديث أحد الأدلة على طهارة نسبه صلى الله عليه وآله وسلم وفى معناه أحاديث كثيرة عن ابن عباس بألفاظ وطرق عند ابن سعد والطبرانى وأبى نعيم وابن عساكر وعن عائشة عند ابن سعد وابن عساكر وعن أبى هريرة عند ابن عساكر وعن أنس عند ابن مردويه وعن غيرهم ، على أن طهارة نسبه الشريف لا تحتاج إلى بيان ، ولا يعوزها برهان ، إذ لم يتنازع فيها اثنان ، فهو صلى الله عليه وآله وسلم الطاهر المطهر أماً وأباً ، الطيب المطيب أصلا ونسباً ، ومن شك فى هذا فليس مسلما . وبالله التوفيق .

(٤) عن واثِلَةَ بن الأسْقَعِ قال : « سِمِعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن اللهَ اصطفى كِنانَةَ من ولَدِ إسْماعيلَ واصطفى قُريشاً من كنانةواصطفى مِن قريشٍ بَنِى هاشِمٍ واصطفانى مِن بنى هاشم » ، رواه مسلم والترمذى وقال: حسن صحيح غريب .

---

(٤) قوله : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، الاصطفاء معناه الاجتباء والاختيار قال تعالى « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » ، ومن الاصطفاء نبوة ورسالة ومنه تمييز وتفضيل ، وكنانة بكسر الكاف وتخفيف النون أحد أجداده عليه الصلاة والسلام . وباقى الحديث واضح وفيه دلالة على طهارة نسبه وشرف أصله وكونه خياراً من خيار صلى الله عليه وآله وسلم . واستدل الشافعية بهذا الحديث على أن غير قريش من العرب ليس كفؤاً لهم ، ولا غير بنى هاشم كفؤا لهم إلا بنى المطلب فإنهم وبنى هاشم شيء واحد كما فى حديث آخر . قوله : حديث حسن صحيح غريب ، استشكل العلماء قول الترمذى فى الحديث حسن صحيح مع تنافيهما ، لأن شرط الصحة أعلى من شرط الحسن كما هو معروف . وأجابوا عن ذلك بعدة أجوبة أحسنها جواب الحافظ ابن حجر وهو أن الحديث إن كان له إسنادان فالجمع بينهما باعتبار الإسنادين أى حسن بإسناد وصحيح بآخر وإن كان له إسناد واحد فالجمع للتردد فى الإسناد هل بلغ الصحة أو لا ، أى حسن أو صحيح ، غاية ما فى الأمر أنه حذف الواو من الأول وأو من الثانى اختصاراً . أما الغرابة فلا تنافى الحسن ولا الصحة ، بل تلاقيهما كما هو معروف ، وهذا حديث « إنما الأعمال بالنيات » صحيح غريب وكم له من نظير والله أعلم . ﴿فائدة﴾ العرب على ست طبقات : شعب ، وقبيلة وعمارة ، وبطن ، وفخذ ، وفصيلة . فالشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن تجمع الأفخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل ، فمضر شعب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنانة قبيلته وقريش عمارته وقصى بطنه وهاشم فخذه وبنو العباس فصيلته . وقيل بنو عبد المطلب فصيلته وعبد مناف بطنه . أفاده الحافظ اليعمرى فى سيرته .

(٥) عن العِرْباضِ بن سَارِيَةَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنِّى عبدُ اللهِ وخَاتِمُ النبيين وإن آدمَ لمنجدِلٌ فى طينتِه وسأُخبركم عن ذلكَ دَعوةُ أبى إبراهيمَ وبشارةُ عيسى ورؤيا أمى التى رأتْ وكذلك أمهاتُ الأنبياء يرَيْنَ وإن أمَّ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم رأتْ حين وضعتْه نوراً أضاء له قُصورُ الشامِ حتَّى رأتْها » رواه أحمدُ والبزار والطبرانى والبيهقى ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقر تصحيحهما الحافظ .

---

(٥) قوله : إنى عبد الله وخاتم النبيين الخ هـذا يؤيد ما قدمناه من تقدم خلق حقيقته أو روحه واتصافها بالنبوة وآدم منجدل فى الطين . وفى رواية : إنى عند الله لخاتم النبيين الخ ، ومعنى العندية هنا القرب المعنوى من بساط الحضرة الإلهيـة ، أى انى فى بساط القرب مفاض على وصف خاتم النبيين وآدم لايزال منجدلا فى الطين أى لايزال جسما مصوراً من الطين لم تنفخ فيه الروح ، وفى هذا من عظم قدر نبينا وعلو منزلتـه ما لايحتاج إلى بيان ﴿ فائدة ﴾ جاء فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء . ومن جملة ما كتب فى الذكر وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين ، فهذا وجود كتابى بمعنى أن الله كتب اسمه الشريف ونعته المنيف حين كتب مقادير الأشياء فى أم الكتاب وثم وجود سابق على هذا الوجود وهو الوجود العلمى أى أنه كان معلوما لله تعالى منذ القدم ضرورة إحاطة العلم القديم بجميع المعلومات موجودات ومعدومات . وهذان الوجودان أعنى العلمى والكتابى مجازيان وغير خاصين بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما المختص به وجود حقيقته أو روحه وجوداً خارجيا وإفاضة وصف النبوة عليها كما سبق والله أعلم . قوله : وسأخبركم =

(٦) عن أنسِ بن مالكٍ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أوحَى اللهُ إلى موسى نبيِّ بني إسرائيلَ أنه مَن لقِيَنى وهو

=عن ذلك أى سأخبركم عن تصديق ذلك ، فالكلام على حذف مضاف كما تبين . قوله دعوة أبي إبراهيم ، يشير إلى قوله تعالى حكاية عنه « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » قوله : وبشارة عيسى ، يشير إلى قوله تعالى على لسانه « ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » قوله : ورؤيا أمي . هذه رؤية عين ، وكذلك أمهات الأنبياء يرين أى يرين ما يدل على نبوة أولادهم . قوله : وإن أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام حتى رأتها ، أى معاينة ولابن سعد من طريق ثور بن يزيد عن أبي العجفاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : رأت أمي حين وضعتني سطع منها نور أضاءت له قصور بصرى ، وبصرى موضع بالشام ؛ ولأبي نعيم من طريق عطاء بن يسار عن أم سلمة عن آمنة قالت : لقد رأيت ليلة وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها . وروى الطبراني والبيهقي وأبو نعيم وابن السكن وغيرهم عن عثمان بن أبي العاص قال حدثتني أمي أنها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت فما شيء أنظر إليه في البيت إلا نور وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى اني أقول لتقعن على فلما وضعته آمنة خرج منها نور أضاء له البيت والدار حتى جعلت لا أرى إلا نوراً ثم هو صلى الله عليه وآله وسلم خرج من السبيل المعتاد للولادة طاهراً نظيفا مابه قذر كما ورد عمن شاهدوه ؛ فادعاء بعضهم أنه خرج من موضع فوق السرة أو دونها لا أصل له ولا دليل يؤيده والله أعلم . وفي دعوة إبراهيم وبشارة عيسى عليهما الصلاة والسلام ورؤية والدته وغيرها للنور دلالة صدق وشهادة حق على تقدم نبوته ، وسبق فضيلته ، كما هو ظاهر وبالله التوفيق .

(٦) قوله : من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار ، أى من لقيني من بني إسرائيل قوم موسى وهو كافر بأحمد أدخلته النار وذلك لأن الله أخبرهم به في التوراة ، وبشرهم به موسى عليه الصلاة والسلام ، فمن جحد به بعد ذلك كان

جاحد بأحمدَ أدخلتُه النارَ قال : يا رب ومَن أحمدُ ؟ قال : ماخلقتُ خلقاً أكرمَ عليّ منه ، كتبتُ اسمَه مع اسمى فى العرشِ قبل أنْ أخلُقَ السماواتِ والأرضَ ، إن الجنَةَ محرمةٌ على جميع خلْقِى حتى يدخلَها هو وأُمتُه قال : ومن أمتُه ؟ قال : الحمادون يحمَدُون صُعوداً وهُبوطًا وعلى كلّ حالٍ يشُدون أوساطَهم

مكذباً لله ورسوله وهو كفر يوجب الخلود فى النار ، قوله : ما خلقت خلقاً أكرم على منه ، أكرم أفعل تفضيل من الكرامة أى ما خلقت خلقاً له من الكرامة عندى مثله وفى هذا دليل تفضيله على الملائكة ، وهو إجماع إلا ما كان من ابن حزم فإنه فضل الملائكة عليه وإلا ما كان من الزمخشرى فإنه فضل جبريل عليه وهذان قولان فى غاية الشذوذ لا يعتبر بهما . يقابلهما فى الشذوذ قول من فضل عوام المؤمنين على عوام الملائكة وليس فى الملائكة عوام بل كلهم رسل معصومون قال تعالى : « جاعل الملائكة رسلا » وقال جل شأنه : « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ، قوله : كتبت اسمه مع اسمى فى العرش الخ أى كتبت لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهذا وارد فى حديث توسل آدم وغيره ، قوله إن الجنة محرمة على جميع خلقى الخ هـذا من الخصائص التى اختصه الله بها فهو أول من يقرع باب الجنة ويدخلها وأمته أول الأمم دخولا الجنة وهذه الفضيلة إنما نالتها الأمة إكراماً لنبيها صلى الله عليه وآله وسلم وللطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى. وروى أيضاً من حديث ابن عباس نحوه ، قوله الحمادون . صيغة مبالغة أى كثيرو الحمد ثم فسر كثرة حمدهم بقوله يحمدون بفتح الياء والميم صعوداً إذا صعدوا جبلا وهبوطاً إذا هبطوا وادياً ويحمدون على كل حال من شدة ورخاء وبؤس ونعماء . وهذا كان حال الصحابة والتابعين والسلف الماضين ، ولا يزال موجوداً إلى الآن وإن =

ويطهّرون أَطرافَهم صائمونَ بالنهارِ رُهبانٌ بالليلِ أَقبَلُ منهم اليسير وأُدخِلُهمُ الجنةَ بشهادةِ أنْ لاَ إلهَ إلاّ اللهُ قال : اجعلْني نبيَّ تلكَ الأمةِ قال : نبيُّها منها قال : اجعلْني مِن أُمةِ ذلكَ النبيّ قال : استقْدَمْتَ واستأْخَرَ ولـكن سأَجْمَعُ بينكَ وبينه فى دارِ الجلالِ » رواه أبو نعيم فى الحلية .

= كان قليلا . قوله : يشدون أوساطهم أى يأتزرون على أوساطهم ويطهرون أطرافهم أى يتوضأون ومقتضى هذا أن الوضـوء من خصوصيات الأمة المحمدية وفى ذلك خلاف . صائمون بالنهار رهبان بالليل أى يقومون الليل ويحيونه بالصلاة والعبادة أقبل منهم اليسير من العمل تيسيراً عليهم ولا أكلفهم بالتكاليف الشاقة كما قال تعالى فى حق رسوله : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله أى وأن محمداً رسـول الله لأنها قرينتها . لما علم موسى عليه الصلاة والسلام ببعض خصوصيات هذه الأمة طلب أن يكون نبياً لها فأخبره الله تعالى أن نبيها منها أى عربى من ولد اسماعيل وموسى إسرائيلى فطلب أن يكون من أمته فأخبره أن وقت ظهوره متأخر عنه لـكن وعده أن يجمع بينهما فى دار الجلال وهى الجنة ، وفى معنى هذا الحديث ما رواه الزبير ابن بكار والطبرانى من حديث ابن مسعود ولفظه « صفتى احمد المتوكل مولده مكة ومهاجره إلى طيبة ليس بفظ ولا غليظ يجزى بالحسنة الحسنة ولا يكافىء بالسيئة أمته الحمادون يأتزرون على أنصافهم . ويوضئون أطرافهم . أناجيلهم فى صدورهم يصفون للصلاة كما يصفون للقتال . قربانهم الذى يتقربون به إلى دماؤهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهار » والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة كلها متضافرة على التنويه بقدر نبينا صلى الله عليه وآله وسـلم وبيان فضيلته وفضيلة أمته بالتبعية له وقد أشار الله إلى بعض ذلك فى سورة الفتح بقوله : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الـكفار » الآية والله أعلم .

(٧) عن عائشة رضى الله عنها قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لى جبريلُ قلبتُ مشارقَ الأرض ومغاربَها فلم أجد رجلاً أفضلَ من محمدٍ ولم أجد بَنِي أبٍ أفضلَ من بَنِي هاشمٍ » رواه الطبرانى والبيهقى وغيرهما ، وقال الحافظ ابن حجر : لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن .

(٨) عن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(٧) قوله : قال لى جبريل قلبت مشارق الأرض الخ هذا العموم لا يشمل جبريل عليه السلام وإن كان الصحيح عند الجمهور أن المخاطب بكسر الطاء يدخل فى عموم خطابه لقوله فلم أجد رجلا والملك لا يسمى رجلا كما لا يسمى أنثى وأيضاً فإنه قال قلبت مشارق الأرض ومغاربها ولم يتعرض لسكان السموات الذين جبريل منهم ، والحاصل أن هذا الحديث يدل على أفضلية النبى صلى الله عليه وآله وسلم على أهل الأرض أما سكان السموات فلأفضليته عليهم أدلة أخرى ، ولابن عساكر عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ولدتنى بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تنازعنى الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة قوله : لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن أى لوامع الصحة ظاهرة الخ . وهذه اللوائح اللوامع هى : موافقة الحديث للمنقول ومطابقته للأصول وانعقاد الإجماع على مضمونه والله أعلم .

(٨) قوله : إن لى أسماء أى كثيرة نقل ابن العربى فى شرح الترمذى والأحكام عن بعض الصوفية أن لله تعالى ألف اسم وللنبى صلى الله عليه وآله وسلم ألف اسم قال الحافظ السيوطى . ألفت كتابا فى شرح أسمائه الكريمة أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسماً مأخوذة من القرآن والأحاديث والكتب القديمة اه وسردها القسطلانى فى المواهب اللدنية فزادت على أربعمائة تتبعها من كلام عياض فى الشفاء وابن العربى فى الأحكام والقبس وابن سيد الناس فى سيرته والسخاوى فى القول

يقول : « إنَّ لى أسماءَ أنا محمدٌ وأنا أحمدُ وأنا الماحِى الذى يمحو اللهُ بِى الكُفْرَ وأنا الحاشرُ الذى يُحشَرُ الناسُ على قدمِى وأنا العاقبُ والعاقبُ الذى ليس بعدَه نبِىٌّ » رواه البخارى ومسلم .

= البديع . قال القاضى عياض : وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسماً اهـ وأسماؤه كلها أوصاف تدل على مدحه وفضله ، ثم ذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم من أسمائه خمسة . الأول محمد ومعناه المحمود حمداً متكرراً . الثانى أحمد ومعناه أحمد الحامدين لربه ، أى أكثرهم حمداً . قال القاضى عياض : كان عليه الصلاة والسلام أحمد قبل أن يكون محمداً كما وقع فى الوجود لأن تسميته أحمد وقعت فى الكتب السالفة ، وتسميته محمداً وقعت فى القرآن وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس اهـ وذلك لأنه خلق قبلهم كما سبق ، ونحو هذا للسهيلى أيضا فى الروض الأنف وسلمه الحافظ فى الفتح فاعتراض ابن القيم عليه ليس بجيد . الثالث الماحى الذى يمحو الله به الكفر من الجزيرة العربية ومن سائر البلاد التى وصلت إليها دعوته وصاروا كلهم أو أغلبهم مسلمين . الرابع الحاشر وهو مفسر فى الحديث . وقوله قدمى ضبط بتخفيف الياء وكسر الميم على الأفراد وضبط بفتح الميم وتشديد الياء على التثنية ومآل اللفظين واحد أى يحشر الناس على أثر زمانى لأنى آخر الأنبياء ليس بعدى نبى . الخامس العاقب وهو مفسر فى الحديث ، ومعناه الذى جاء فى عقب الأنبياء ، وكان آخرهم فلا نبوة بعده ، ومن أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم فى القرآن : عبد الله ، النبى ، الرسول ، رسول الله ، البشير ، النذير ، السراج المنير ، الداعى إلى الله بإذنه ، الشاهد ، الشهيد ، النور ، الرؤوف ، الرحيم ، المدثر ، المزمل ، خاتم النبيين . إلى غير ذلك مما استخرجه العلماء ولاشك أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ونبالة قدره ﴿ تنبيه ﴾ ذكر الحافظ أبو نعيم وتبعه غير واحد أن الله تعالى لم يخاطب نبيه فى القرآن باسمه المجرد ، بل خاطبه بالوصف الدال على الرفعة وعلو =

(٩) عن جابرِ بن سَمُرَةَ قال : « قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنى لأعرفُ حجراً بمكةَ كان يسلِّمُ عليَّ قبلَ أن أُبعثَ إنّى لأعرِفهُ الآن » رواه مسلم فى صحيحه وغيرُه وللترمذى عن على عليه السلام قال كنت مع النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

=القدر نحو : يأيهاالنبى ، يأيهاالرسول ، يأيها المدثر ، يأيها المزمل . ونادى غيره من الأنبياء بأسمائهم يا نوح يا إبراهيم يا داود وهكذا ، وأمرنا أن لا نناديه باسمه فقال (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) قال ابن عباس وغيره : لاتقولوا يا محمد يا أبا القاسم ، ولكن قولوا يا نبى الله يا رسول الله انتهى باختصار والوهابية وأشكالهم من الملحدين يعرضون عن هدى القرآن ، ويخالفون أمر الله ويأبون إلا أن يذكروه باسمه المجرد كآحاد الناس . والعجب أن الواحد منهم يسود نفسه ويخلع عليها الأوصاف الجميلة ، مع أن الله يقول «فلا تزكوا أنفسكم» فإذا جاء ذكر سيد الخلق بخلوا على اسمه بالسيادة التى يصفون بها أنفسهم ، قاتلهم الله ، ما أكثر إساءة أدبهم على الله ورسوله .

(٩) قوله : إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن . قال النووى فى هذا إثبات التمييز فى بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى فى الحجارة : « وإن منها لما يهبط من خشية الله » وقوله تعالى : « وإن من شىء إلا يسبح بحمده » وفى هذه الآية خلاف مشهور ، والصحيح أنه يسبح حقيقة ويجعل الله فيه تمييزاً بحسبه كما ذكرنا . ومنه الحجر الذى فر بثوب موسى صلى الله عليه وسلم وكلام الذراع المسمومة ومشى إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاهما النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأشباه ذلك اهـ وقال ابن العربى فى الأحكام فى الكلام على قوله تعالى : « وإن من شىء إلا يسبح بحمده » ما لفظ المراد منه : ليس يستحيل أن يكون للجمادات فضلا عن البهائم تسبيح بكلام وإن لم نفقهه نحن عنها ، إذ ليس من شرط قيام الكلام بالمحل عند أهل السنة هيئة آدمية ولا وجود بلة ولارطوبة وإنما يكفى له الجوهرية أوالجسمية=

بمكة فخرجْنا فى بعض نواحيها فما استقبلَه جبلٌ ولا شجرٌ إلا وهو يقول : السلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ ، قلتُ قصة تسليم الحجر والشجر عليه واردة من طرق .

= خلافاً للفلاسفة واخوتهم من القدرية الذين يرون الهيئة الآدمية ، والبلة والرطوبة شرطاً فى الكلام . فإذا ثبت هذا الأصل بأدلته التى تقررت فى موضعه وبأن كل عاقل يعلم أن الكلام فى الآدميين عرض يخلقه الله فيهم ، وليس يفتقر العرض إلا لوجود جوهر أو جسم يقوم به خاصة ، وما زاد على ذلك من الشروط فإنما هى عادة ، وللبارى تعالى نقض العادة وخرقها بما شاء من قدرته لمن شاء من مخلوقاته وبريته ، ولهذا حن الجذع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبح الحصى فى كفه وكف أصحابه ، وكان بمكة حجر يسلم عليه قبل أن يبعث ، وكانت الصحابة تسمع تسبيح الطعام ببركته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يكن لذلك كله بنية ولا وجدت له رطوبة ولا بلة وعلى إنكار هذه المعجزات وإبطال هذه الآيات حامت عما ابتدعته من المقالات اه والأحاديث التى أشار إليها هو والنووى صحيحة . والمقصود أن تسلم الحجر والشجر كما فى هذا الحديث وحديث على الذى بعده معجزة عظيمة أكرم الله بها نبيه ، وثبت بها فؤاده ، وقوى بها حجته . ففى مسند البزار وأبى يعلى ودلائل النبوة للبيهقى وأبى نعيم بإسناد حسن عن عمر ابن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان على الحجون كئيباً لما آذاه المشركون فقال : اللهم أرنى اليوم آية لا أبالى من كذبنى بعدها ، فأمر فنادى شجرة من جانب الوادى فأقبلت تخد الأرض — تشق — خداً حتى وقفت بين يديه فسلمت عليه ثم أمرها فرجعت إلى موضعها فقال ما أبالى من كذبنى بعدها من قومى ، وتعددت هذه القصة لمناسبات كثيرة كما ورد فى كثير من الأحاديث ، وسنشير إلى بعضها . وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود قال : « كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام » قال العلماء : فى هذا تصريح بكرامة الصحابة لسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك ببركته صلى الله عليه =

(١٠) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال . « انشق القمرُ على عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فِرْقتين فِرقة فوق الجبلِ

= وآله وسلم . قوله : وللترمذى عن على عليه السلام الخ رواه أيضا الدارمى والحاكم وصححه وللبزار وأبى نعيم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يارسول الله » ، وسيأتى مزيد لهذا فى الحديث الثالث عشر بحول الله تعالى .
﴿ تنبيهات : الأول ﴾ قوله فى حديث الترجمة : إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على ، اختلف فى هذا الحجر فقيل هو الحجر الأسود وفيه بعد ، وقيل حجر غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه ، كذلك رواه الإمام أبو عبـد الله ابن رشيد (بضم الراء) فى رحلته بإسناده إلى أبى حفص الميانشى عمن لقيه بمكة من أهلها ﴿ الثانى ﴾ سئل الحافظ السيوطى عن رجل بيده حجر بلور يقعد على الطرقات ويقول : الأحجار سلمت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا الحجر من جنسها فقال له رجل : كذبت هذا الحجر ما سلم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : من جنسه فأنكر ذلك فأيهما المخطىء . فأجاب : ثبت من طرق صحيحة أن الأحجار سلمت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، لكن البلور بخصوصه لم يرد فيه حديث انتهى باختصار من كتاب الحاوى للفتاوى للسيوطى .
﴿ الثالث ﴾ ذكرت آنفاً أن الأحاديث التى أشار إليها النووى وابن العربى فيما نقلته من كلامهما صحيحة وهى كذلك إلا حديث تسبيح الحصى فى كفه وكف أصحابه فإنه حديث ضعيف رواه البزار والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل وهو حديث مشهور على الألسنة ، متداول بين الناس ، وضعفه ليس بشديد ، وهو فى مثل هذا الباب مقبول ، لاسيما مع تأيده بقوله تعالى : « وإن من شىء إلا يسبح بحمده » الآية وبحديث تسبيح الطعام وبتسليم الحجر والشجر والله أعلم .

(١٠) قوله : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرقتين لهذا الحديث ألفاظ فى الصحيحين هذا أحدها ، وثانيها : بينما نحن مع رسول الله =

وفِرْقة دونَه » فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اشْهَدُوا رواه البخارى ومسلم ، ولهذه القصة طرق عن

=صلى الله عليه وآله وسلم بمنى إذ انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشهدوا ، زاد الترمذى فى روايته : يعنى (اقتربت الساعة وانشق القمر) . ثم قال : هذا حديث حسن صحيح . وفى رواية أبى داود الطيالسى عن ابن مسعود قال : « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن أبى كبشة قال فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمداً لايستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فأخبروهم بذلك . وفى رواية البيهقى : فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأيناه . وفى الصحيحين عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين . وفى رواية مرتين ، ورواه الترمذى وزاد فيه : فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر) إلى قوله (سحر مستمر) يقول : ذاهب . ثم قال : هذا حديث حسن صحيح . وفى الصحيحين عن ابن عباس قال : إن القمر انشق على زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وفى صحيح مسلم عن ابن عمر قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اشهد ، ورواه الترمذى بنحوه مختصراً وقال : حديث حسن صحيح . وفى سنن الترمذى عن جبير بن مطعم قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقال بعضهم لئن كان سحرنا مايستطيع أن يسحر الناس كلهم . وكذا هو فى مسند الإمام أحمد . وفى رواية أبى نعيم والبيهقى عنه : انشق القمر ونحن بمكة(١) . وفى رواية أبى حذيفة الأرحبى عن على عليه السلام قال : انشق القمر ونحن مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم . رواه الطحاوى فى مشكل الآثار . وورد حديث الانشقاق أيضاً عن حذيفة من طريق أبى عبدالرحمن

(١) وهكذا رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وسلمه الذهبى .

ابن مسعود وأنس وابن عباس عند البخارى ومسلم ؛ وعن ابن عمر عند مسلم فى صحيحه ، وعن جبير بن مطعم عند أبى نعيم والبيهقى وغيرهما .

= السلمى ومسلم بن أبى عمران الأزدى ، وللطبرانى والحاكم وغيرهما من طريق ابن علية عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن قال خطب حذيفة بالمدائن فقال : إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذكر حديثاً طويلا ، ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم أيضاً قال الحافظ ابن عبدالبر : قد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ؛ ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا وتأيد بالآية الكريمة اهـ وقال العلامة تاج الدين ابن السبكى فى شرحه لمختصر ابن الحاجب : والصحيح عندى أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه فى القرآن مروى فى الصحيحين وغيرهما من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبى معمر عن ابن مسعود ثم قال : وله طرق شتى بحيث لا يمترى فى تواتره اهـ وقال القاضى عياض فى الشفاء : قال الله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه اهـ ثم ذكر بعض الطرق وأجاب عن اعتراض بعض المبتدعة فأجاد . وقال فى الشفاء أيضا : أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهره إلا بدليل ، وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ؛ ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقى الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين ، بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه اهـ وقال الإمام الخطابى : انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شىء من آيات الأنبياء . وذلك أنه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس فيما يطمع فى الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر اهـ =

= وقال الإمام النووى فى شرح مسلم : قال القاضى – يعنى عياضاً فى شرح مسلم أيضا – : انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد رواها عدة من الصحابة رضى الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها . قال الزجاج – يعنى فى كتاب معانى القرآن – وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفى الملة. وذلك لما أعمى الله قلبه ، ولا إنكار للعقل فيها ، لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه مايشاء كما يفنيه ويكوره فى آخر أمره . وأما قول بعض اللاحدة لو وقع هذا لنقل متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم فى معرفته ولم يختص به أهل مكة ، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل فى الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم ، فقل من يتفكر فى السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر . ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام ، وغير ذلك مما يحدث فى السماء فى الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد ولا علم عند غيرهم كما ذكرناه ، وكان هذا الانشقاق آية حصلت فى الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتنبه غيرهم لها ، قالوا وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهراً لقوم غائباً عن قوم ، كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم اهـ وبقية الأجوبة مبسوطة بإيضاح فى الشفاء والمواهب وشروحهما . وقال الحافظ العراقى فى ألفية السيرة : وانشق مرتين بالإجماع . قال الحافظ ابن حجر : قوله بالإجماع متعلق بانشق لا بمرتين فإنى لا أعلم من جزم بتعدد الانشقاق . قال : ولعل قائل مرتين — أى كما فى بعض الروايات — أراد فرقتين وهذا الذى لايتجه غيره جمعا بين الروايات ﴿ تنبيهات : الأول ﴾ فى ضبط ألفاظ الحديث . قوله : شقتين ، هو بكسر الشين ، وكذلك فلقتين وفرقتين ومعناها واحد أى صار قطعتين متباينتين بحيث رؤى الجبل بينهما . والسفار بضم السين وفتح الفاء المشددة جمع سافر وهم القوم المسافرون ، وبقية ألفاظ الحديث واضحة ﴿ الثانى ﴾ ما يذكره بعض القصاص واشتهر بين كثير من العوام من أن القمر دخل فى جيب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وخرج من كمه ليس له أصل كما نقله بدر الدين الزركشى عن شيخه الحافظ ابن كثير ووافقه غير واحد ﴿ الثالث ﴾ شاهد انشقاق القمر فى الليلة التى وقع فيها ملك بهوپال من الهند واسمه بهوج پال =

= ذكره الفرشتة فى تاريخه ، ونقله العلامة المحدث الشيخ محمد أنور الكشميرى فى فيض البارى فى شرح صحيح البخارى . وجاء فى السنة الأولى من مجلة « الإنسان » ص ١٥٠ — ١٥١ من العدد الصادر فى ٣٠ شوال سنة ١٣٠١ هـ تحت عنوان انشقاق القمر ما لفظه : « أخبر بعض السواحين الجائلين فى بلاد الصين أنه يوجد معبد عظيم فى إحدى مدائن تلك المملكة مكتوب على بابه أنه قد تم بناؤه فى تاريخ كذا وأنه فى ليلة تمام البناء شاهد الجميع انشقاق القمر نصفين فى وسط السماء ، وبالتحقيقات التى أجراها فى ذلك التاريخ وجد أن تلك الليلة كانت موافقة لليلة التى انشق فيها القمر بإشارته صلى الله عليه وآله وسلم فمن يوصلنا إلى زيادة إيضاح فى هذه الآية الكبرى أعددنا له من المكافأة شكرانا لاينقطع مدى الدهر اهـ انظر المجلد الأول من « مجلة الإنسان » بدار الكتب تحت رقم ٨٧٣ دوريات ﴿الرابع﴾ ورد أن الشمس ردت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فروى الطحاوى فى (مشكل الآثار) من طريقين[1] عن أسماء بنت عميس قالت : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوحى إليه ورأسه فى حجر على فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أصليت يا على ؟ فقال لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس ، قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والأرض وذلك فى الصهباء بخيبر . قال الطحاوى : هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات . ونقل عن الإمام أحمد ابن صالح المصرى أنه كان يقول : لاينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء ، لأنه من علامات النبوة اهـ ووافق الطحاوى على تصحيحه أيضا القاضى عياض فى الشفاء ورواه الطبرانى فى الكبير[2] بإسناد حسن كما نص عليه الحافظ =

---

(١) قال فى الطريق الأول : حدثنا أبو أمية ، ثنا عبيد الله بن موسى العبسى ، ثنا الفضيل بن مرزوق عن ابراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس ، وقال فى الطريق الثانى : ثنا على بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة ، ثنا أحمد بن صالح — هو المصرى الحافظ المشهور — ثنا ابن أبى فديك ، حدثنى محمد بن موسى عن عون بن محمد عن أمه أم جعفر عن أسماء بنت عميس .

(٢) قال : حدثنا جعفر بن أحمد بن سنان الواسطى ، ثنا على بن المنذر ، ثنا محمد بن فضيل ثنا فضيل بن مرزوق عن ابراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت على عن أسماء بنت عميس ، =

أبوزرعة ابن العراقى فى شرح التقريب . أما ابن الجوزى فذكره فى الموضوعات =

= وعزاه الحافظ فى الفتح إلى الحاكم والبيهقى أيضاً ونص كلامه : وروى الطحاوى والطبرانى فى الكبير والحاكم والبيهقى فى الدلائل عن أسماء بنت عميس أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا لما نام على ركبة على ففاتته صلاة العصر فردت الشمس حتى صلى على ثم غربت وهذا أبلغ فى المعجزة وقد أخطأ ابن الجوزى بإيراده فى الموضوعات وكذا ابن تيمية فى كتاب الرد على الروافض فى زعم وضعه والله أعلم اه بلفظه ، وقال الحافظ أبو بشر الدولابي فى كتاب الذرية الطاهرة : حدثنى إسحاق بن يونس ، ثنا سويد بن سعيد عن المطلب بن زياد عن إبراهيم ابن حيان عن عبد الله بن الحسين عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين بن على رضى الله عنهما قال : كان رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حجر على وكان يوحى إليه فلما سرى عنه قال لى : يا على صليت العصر ؟ قال : لا قال : اللهم إنك تعلم أنه كان فى حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس فردها عليه فصلى وغابت الشمس ، قال العلامة المحدث أبو عبدالله محمد بن يوسف الدمشقى الصالحى فى جزء (مزيل اللبس عن حديث رد الشمس) .

اعلم أن هذا الحديث رواه الطحاوى فى كتاب شرح مشكل الآثار عن أسماء بنت عميس من طريقين وقال : هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات ونقله القاضى عياض فى الشفا والحافظ ابن سيد الناس فى بشرى اللبيب والحافظ علاءالدين مغلطاى فى كتاب الزهر الباسم وصححه الحافظ أبو الفتح الأزدى وحسنه الحافظ أبو زرعة ابن العراقى وشيخنا الحافظ جلال الدين السيوطى فى الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة ، وقال الحافظ أحمد بن صالح وناهيك به : لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حديث أسماء لأنه من أجل علامات النبوة ، وقد أنكر الحفاظ على ابن الجوزى إيراده الحديث فى الموضوعات فقال الحافظ أبو الفضل ابن حجر فى باب قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم أحلت لكم الغنائم من فتح البارى بعد أن أورد الحديث : أخطأ ابن الجوزى بإيراده فى الموضوعات اه ثم قال : إن هذا الحديث ورد من طريق أسماء بنت عميس وعلى وابنه الحسين وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهم ، ثم أوردها وتكلم على أسانيدها ثم قال : قد علمت مما أسلفناه من حكم الحفاظ فى هذا الحديث وتبين حال رجاله أنه ليس فيه متهم ولا من أجمع على تركه ، ولاح لك ثبوت الحديث وعدم بطلانه ولم يبق إلا الجواب عما أعل به وقد أعل بأمور فذكرها وأجاب عنها بأجوبة شافية ، كذا فى كتاب الأمم لإيقاظ الهمم للعلامة المحقق الشيخ إبراهيم الكورانى ، قلت حسن الحافظ السيوطي حديث أسماء فى أواخر الدرر المنتثرة ، وعزاه فى الخصائص الكبرى لابن شاهين وابن منده والطبرانى وقال : بعض أسانيده على شرط الصحيح ، وعزا حديث أبى هريرة لابن مردويه ، وذكر فى اللآلى المصنوعة جزءا لبعض المتقدمين فى طرق هذا الحديث أورده بتمامه فليراجع هناك بل للحافظ السيوطي نفسه جزء « كشف اللبس عن حديث رد الشمس » وذكر الذهبى فى ترجمة الحافظ الحسكانى أن له مجلسا — يعنى مجلس إملاء — فى تصحيح رد الشمس لعلى ، يدل على تشيعه وخبرته بالحديث ، ص ٣٦٨ ج ٣ تذكرة الحفاظ طبعة ثانية بحيدراباد . ولا تنس أن الذهبى شامى من تلاميذ ابن تيمية وانظر كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق .

= وتبعه ابن تيمية فحكم بوضعه أيضا فى رده على الروافض لأجل ذكر على فيه ولو ذكر فيه أبو بكر أو عمر بدله كان أول المصححين له بكل قواه . وانحراف ابن تيمية عن على وأهل البيت معروف حتى حكم عليه بالنفاق لأجل ذلك[١] . وفى أوسط معاجم الطبرانى بإسناد حسن كما قال أبو زرعة[٢] ابن الحافظ العراقى عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار . وقال القاضى عياض فى الشفاء ، بعد أن نقل حديث أسماء بنت عميس وكلام الطحاوى فى تصحيحه مانصه : وروى يونس بن بكير فى زيادة المغازى روايته عن ابن اسحق : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير قالوا متى تجىء ؟ قال يوم الأربعاء . قال : فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجىء ، فدعا عليه الصلاة والسلام فزيد له فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس . وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات اهـ ومن أراد زيادة على ما أوردناه فليراجع الشفاء والمواهب وشروحهما والخصائص الكبرى للسيوطى وغيرها والله أعلم .

---

(١) ذكر الحافظ ابن حجر فى ترجمته من الدرر الكامنة : أن العلماء حكموا بنفاق ابن تيمية لما ثبت عليه من بغض على وانحرافه عنه وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام لا يبغضك إلا منافق ، قلت : وقد اطلعت على رسالة له صغيرة ذكر فيها أن الأحاديث الواردة فى فضل على لا تثبت له ميزة على مطلق المؤمنين فضلا عن الصحابة وبين ذلك فى بعض الأحاديث التى ذكرها بكلام ظاهر عليه أثر الحقد والتحامل، وفى كتابه الذى سماه منهاج السنة — وهو فى الحقيقة منهاج البدعة — تحامل كبير على على وانتقاص لعلى مقامه ، خصوصا أوائل الجزء الثالث منه فإن فيه مع ذلك مساسا بفاطمة الزهراء عليها صلوات الله ، ووصمها بشائبة النفاق ، وقد عاقبه الله على هذه الوقاحة والخبث فجعله إمام الناصبية والمبتدعة منذ وقته إلى الآن فى كل زمان ومكان فلا تجد عدواً لآل البيت ولا خارجا على الجماعة إلا وليد أفكاره وتلميذ كتبه الملأى بالضلال فدونك المجسمة والمشبهة ومن على شاكلتهم كلهم يعتمدون عليه ويرجعون فى نصر بدعتهم إليه ودونك أعداء الزيارة النبوية الذين يزعمون أنها معصية لا حجة لهم فى زعمهم إلا كلامه ، ودونك المتجرئين على القول فى الدين بالهوى والغرض لم يكتسبوا جرأتهم إلا منه ، وهكذا بقية صنوف المبدع هو الذى فتح أبوابها وسهل أسبابها .

(٢) وكذا قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى والحافظ السيوطى فى الخصائص الكبرى

(١١) عن أنسٍ رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أُتِيَ بالبُراقِ ليلَةَ أُسرِيَ به مُلْجَما مُسْرَجًا فاستصْعَبَ عليه فقال جبريلُ عليه السلامُ أبِمحَمَّدٍ تفعلُ هذا؟ فما رَكِبَكَ أحدٌ أكْرمُ على اللهِ منه قال: فارفَضَّ عَرَقا. رواه أحمد والترمذى والبيهقى وغيرهم وحسنه الترمذى وصححه ابن حبان.

---

(١١) قوله: أتى بالبراق هو بضم الباء وتخفيف الراء دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، كذا جاء مفسراً فى صحيح مسلم من حديث أنس أيضاً. قوله: فاستصعب عليه، وفى رواية: اشمأز، وفى رواية: شمس، ومعنى الروايات واحد. وجزم السهيلى بأن البراق إنما استصعب عليه لبعد عهد ركوب الأنبياء قبله. ويؤيده ما جاء فى سيرة ابن اسحق من رواية وثيمة فى ذكر الإسراء: فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت فى الفترة. قوله: فما ركبك أحد أكرم على الله منه، يدخل فى هذا العموم جبريل نفسه، لأنه ممن ركب البراق فيكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم أكرم على الله منه وعلى هذا انعقد الإجماع، إلا ما كان من مخالفة الزمخشرى وابن حزم وهو خلاف شاذ كما تقدم التنبيه عليه. قوله: فارفض عرقا أى سال منه العرق لحيائه وخجله. وقصة الإسراء مذكورة فى القرآن وواردة فى السنة المطهرة، رواها أكثر من عشرين صحابياً، وكذلك قصة المعراج ذكرت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى » ووردت بها السنة المشرفة، إذ رواها الصحابة الذين رووا حديث الإسراء وغيرهم، وما يروى عن عائشة فى نفى ذلك باطل مكذوب، بل صح عنها رواية حديث الإسراء كما رواه سائر الصحابة، وقد أفردت هذه القصة بالتآليف الكثيرة فللحافظ عبد الغنى بن سعيد كتاب فى جزأين جمع فيه أحاديث الإسراء=

(١٢) عن أنس أيضا قال : «إن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابَه كانوا بالزَّوْراءِ فدَعا بقدَحٍ فيه ماءٌ فوضَع كَفَّه فيه فجعلَ الماءُ ينبُع مِن تحت أصابعِه فتوضأَ جميعُ أصحابِه قال قتادة : كم كانوا

——————

= وللامام أبي إسحق النعماني كتاب حافل فى الإسراء والمعراج مشحون بالفوائد والنفائس ، وللامام العلامة فخر المالكية ، بل فخر المتأخرين قاطبة ابن المنير كتاب فى أسرار الإسراء والمعراج أجاد فيه كل الإجادة ، وللحافظ السيوطى رسالة الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء طبعت بالشام ، وهى مفيدة ، إلى غير ذلك مما لا يحصى من المؤلفات ، هذا غير ما جاء عنها فى كتب التفسير والحديث والسيرة مما يطول تتبعه واستقصاؤه ، ومع ورود هذه المعجزة العظيمة فى القرآن والسنة وإجماع العلماء على وقوعها نجد ملحدة العصر مثل هيكل ينكرونها ويؤولون وقوعها على وجه يوافق عقولهم الضيقة ، وأمزجتهم السخيفة ، تقليداً للمستشرقين أعداء الدين ، أو طلباً للشهرة باسم التجديد وحرية الفكر « قاتلهم الله أنى يؤفكون » .

(١٢) قوله : كانوا بالزوراء ، مكان عند السوق بالمدينة المنورة ، قوله : فدعا بقدح (بفتح القاف والدال) إناء يوضع فيه الماء . قوله : زهاء الثلاثمائة ، زهاء بضم الزاى وبالمد ، أى قدر الثلاثمائة . قال القرطبى : قصة نبع الماء من أصابعه عليه الصلاة والسلام قد تكررت منه فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه . وقد نقل ابن عبد البر عن المزنى أنه قال : نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم أبلغ فى المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه ، لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم اه . وقال النووى فى شرح مسلم :

يا أبا حمزة؟ قال: كانوا زُهاء الثلاثمائة، رواه البخاري ومسلم

قلت قصة نبع الماء من أصابعه الشريفة تكررت عدة مرات

ووردت في أحاديث كثيرة.

وفي كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضي وغيره. أحدهما ونقله القاضي عن المزني وأكثر العلماء أن معناه أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم وينبع من ذاتها، قالوا: وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر. ويؤيد هذا أنه جاء في رواية: فرأيت الماء ينبع من أصابعه. والثاني يحتمل أن الله كثر الماء في ذاته، فصار يفور من بين أصابعه، لا من نفسها، وكلاهما معجزة ظاهرة، وآية باهرة اهـ وقصة نبع الماء وقعت في المدينة وفي قباء وفي غزوة بواط بضم الباء موضع على أبراد من المدينة وفي غزوة الحديبية وتبوك، ورواها من الصحابة أنس وجابر وابن مسعود وعمران بن حصين وابن عباس وغيرهم، وأغلب طرقها في الصحيحين أو أحدهما ﴿تنبيه﴾ مما يشبه هذه القصة من حيث تكثير الماء ما رواه الإمام مالك في الموطأ ومسلم في الصحيح عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم: «إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاء فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي قال فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل مسستما من مائها شيئاً. قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل صلى الله عليه وآله وسلم به وجهه ويديه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا — يعني بساتين». زاد ابن اسحق في روايته: فانخرق الماء حتى كان يقول من سمعه إن له حساً كحس الصواعق، وذلك الماء فوارة تبوك اليوم» ولهذه القصة نظائر في الصحيحين وغيرهما والله أعلم.

(١٣) عن ابنِ عباسٍ رضى الله عنهما قال : « جاء أعرابىٌّ إلى النبىِ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : بِمَ أَعرِفُ أنكَ نبىٌّ ؟ قال : أرأَيتَ لو دَعوتُ هذا العِذْقَ مِن هذه النخلةِ أتشهدُ أنى رسولُ الله ؟ قال نعم فدعا العذقَ فجعلَ العِذقُ ينزل من النخلة حتى سقَطَ فى الأرضِ فجعلَ ينقزُ حتى انتهى إليه فقام

---

(١٣) قوله : لودعوت هذا العذق ، بكسر العين وسكون الذال المعجمة معروف وبقية ألفاظ الحديث واضحة ، وفيه معجزة باهرة ، وآية ظاهرة ، وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط مسلم وسلمه الذهبى ، وفى صحيح مسلم عن جابر قال : سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقضى حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ير شيئاً يستتر به فإذا شجرتان فى شاطىء الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى إحداها فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادى على بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ثم صنع بالأخرى كذلك حتى إذا كان بالمنصف (بفتح الميم الموضع الوسط) بينهما قال التئما (اجتمعا) على بإذن الله فالتأمتا الحديث . وروى البزار والبيهقى فى الدلائل بإسناد جيد عن ابن عمر قال : كنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل أعرابى ، فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين تريد ؟ قال إلى أهلى قال هل لك إلى خير قال وماهو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، قال هل لك من شاهد على ما تقول ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الشجرة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهى على شاطىء الوادى فأقبلت تخد الأرض خداً فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ثم رجعت إلى منبتها . وروى البزار من طريق صالح

بين يديْه فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : ارجِــعْ إلى مكانِكَ فرَجَع إلى مكانِه فأَسلَم الأَعرابىُّ» . رواه أحمد والبخارى فى التاريخ والترمذى والحاكم وصححاه وغيرهم قلت قصة إجابة الشجر وسجوده وسلامه تعددت ووردت فى غير حديث .

ابن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أرنى آية ؟ قال اذهب إلى تلك الشجرة فادعها ، فذهب إليها فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعوك فمالت عن كل جانب منها حتى قلعت عروقها ثم أقبلت حتى جاءت إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأمرها أن ترجع ، فقام الرجل فقبل رأسه ويديه ورجليه وأسلم . ورواه ابن الأعرابى فى جزء القبل من هــذا الطريق وقال فى آخره : فقال الرجل ائذن لى أن أقبــل رأسك ورجليك فأذن له فقبل رأسه ورجليه ثم قال ائذن لى أن أسجد لك قال : لا يسجد أحــد لأحد . وعزاه الحافظ العراقى فى المغنى إلى الحاكم وقال : قال صحيح الإسناد اهـ وفى المستدرك عن يعلى بن مرة قال : سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيت منه شيئاً عجباً ! نزلنا منزلا فقال انطلق إلى هاتين الشجرتين فقل لهما إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمركما أن تجتمعا . فانطلقت فقلت لهما ذلك ، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها فمرت كل واحدة إلى صاحبتها فالتقتا جميعاً فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم حاجته من ورائهما ، ثم قال انطلق فقل لهما لتعود كل واحدة إلى مكانها ، فأتيتهما فقلت لهما ذلك ، فعادت كل واحدة إلى مكانها . ثم ذكر معجزتين أخريين شاهدهما . قال الحاكم : حديث صحيح وسلمه الذهبى . وفى الصحيحين عن مسروق ، قال : سألت ابن مسعود : من آذن النبى صلى الله عليه وآله وسـلم بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ قال : آذنته (أعلمته) بهم شجرة ، وبقيت أحاديث أخرى أيضا اكتفينا عنها بما أوردناه هنا وفى شرح الحديث التاسع وبالله التوفيق .

(١٤) عن جابرِ بن عبدِ الله رضى الله عنهما قالَ : « كانَ جِذْعٌ يقومُ إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فلما وُضعَ له المِنبرُ سمِعنا للجِذْعِ مثلَ أصواتِ العِشارِ حتى نَزَلَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فوضَع يدَه عليه فسكَت » . رواه البخارى فى صحيحه ، وله طرق عن جابر وبُرَيْدَة وعائشة وابن عمر وأنس وأبى

---

(١٤) قوله : كان جذع يقوم إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أى يتكئ عليه حال الخطبة ، وذلك قبل أن يصنع له المنبر ، فلما صنع له خطب عليه فسمع للجذع (بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة) مثل أصوات العشار بكسر العين جمع عشراء وهى الناقة التى لحملها عشرة أشهر ، أو الحامل مطلقاً . قوله : فوضع يده عليه فسكت ، فى رواية للبخارى : فنزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضمها إليه (أى السارية التى هى الجذع) فجعلت تئن أنين الصبي الذى يسكن قال : كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها . ولهذا الحديث طرق فى البخارى ومسند أحمد ، ولا بأس أن نشير إلى عزو الطرق المشار إليها فى المتن مع بيان ما فى بعضها من الزوائد ، فحديث بريدة رواه الدارمى من طريق عبد الله بن بريدة عن أبيه وفيه من الزيادة ما نصه : فرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضع يده عليه وقال اختر أن أغرسك فى المكان الذى كنت فيه فتكون كما كنت وإن شئت أن أغرسك فى الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرتك . فسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول له نعم قد فعلت ، مرتين ، فسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اختار أن أغرسه فى الجنة وحديث عائشة رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل بنحو حديث بريدة وحديث ابن عمر رواه البخارى وأحمد وحديث أنس رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والدارمى وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقى وفيه : « خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد بخواره فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ابن كَعب وأبى سعيد الخدرى وابن عباس وأم سلمةَ وسهل ابن سعد وغيرهم وروى أبو حاتم الرازى الإمام العلَم عن شيخه عَمرو بن سَواد قال قال لى الشافعى : ما أعطى الله تعالى نبياً ما أعطى محمداً قلت أعطَى عيسى إحياءَ الموتى ، فقال : أَعطى محمداً حَنينَ الجِذع فهذا أكبر من ذاك

فالتزمه فسكت فقال : والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزناً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . قال الترمذى صحيح غريب ، ورواه البغوى من طريق الحسن عن أنس وزاد بعده : « فكان الحسن — يعنى البصرى — إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال ياعباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شوقاً إليه لمكانه من الله فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه ، وحديث أبى بن كعب رواه الشافعى وأحمد والدارمى وابن ماجه وأبو يعلى وسعيد بن منصور وأبو نعيم والبيهقى وحديث أبى سعيد الخدرى رواه عبد بن حميد وابن أبى شيبة والدارمى وأبو نعيم وحديث ابن عباس رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم ورواه ايضا ابن سعد وابن ماجه والدارمى وأبو نعيم والبيهقى وحديث أم سلمة رواه أبو نعيم والبيهقى وحديث سهل بن سعد رواه البخارى ومسلم وغيرهما وروى الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن المطلب بن أبى وداعة قال : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يسند ظهره إلى جذع فى المسجد إذا خطب فلما جعل له المنبر وجلس عليه خار الجذع خوار الثور فأقبل عليه حتى التزمه فسكن وقال : لا تلوموه فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يفارق شيئا إلا وجد — أى حزن — عليه ، قال البيهقى : قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التى حملها الخلف عن السلف اهـ وقال القاضى عياض حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر اهـ ثم ذكر عشرة من الصحابة وقال التاج ابن السبكى فى رفع الحاجب =

(١٥) عن حَنظلةَ بن حُذَيم : «أن النبيَ صلى الله عليه وسلم مسَح رَأسَه بيدِه وقال له بُورِكَ فيك» قال الذيَّالُ — هو حفيد حنظلة وراوى الحديث عنه — فرأيتُ حنظلَةَ يُؤْتَى بالشاةِ الوارِمِ ضَرعُها والبَعيرِ والإِنسانِ به الورَمُ فيتْفُلُ فى يدِه ويمسَح

= عن مختصر ابن الحاجب : والصحيح عندى أن حنين الجذع متواتر رواه البخارى عن نافع عن ابن عمر ورواه أحمد من رواية أبى جناب عن أبيه عن ابن عمر ورواه ابن ماجه وأبو يعلى الموصلى وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وإسناده على شرط مسلم ورواه الترمذى وصححه وأبو يعلى وابن خزيمة والطبرانى من رواية اسحق بن عبد الله ابن أبى طلحة عن أنس ورواه الطبرانى من رواية الحسن عن أنس ورواه أحمد وابن منيع والطبرانى وغيرهم من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس ورواه أحمد والدارمى وأبو يعلى وابن ماجه وغيرهم من رواية الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه ورواه الدارمى من رواية أبى حازم عن سهل بن سعد ورواه أبو محمد الجوهرى من رواية عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع عن تميم الدارى . قال : ولست أدعى أن التواتر حاصل بما عددت من الطرق بل من طرق أخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والأجزاء وغيرها اهـ ولهذا أدرجه الحافظ السيوطى فى كتابه الذى ألفه فى المتواتر لكن قال الحافظ فى الفتح إنه نقل نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة لهم فى ذلك اهـ ولاشك أن معجزة حنين الجذع أكبر من احياء الموتى كما قال الإمام الشافعى لأن حنين الجماد وبكاءه كالطفل أبعد وأغرب من عودة الحياة إلى جسم كان حيا وستعود إليه الحياة عند بعثه فالميت ليس بجماد صرف بل من شأنه الحياة كما لا يخفى والله أعلم .

(١٥) حنظلة بفتح الحاء والظاء بينهما نون ساكنة وحذيم بضم الحاء وهو حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمى له ولأبيه ولجده صحبة قوله : مسح رأسه

بصَلْعتِه ويقول بسم اللهِ على أثَرِ يدِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فيمسَحُه ، ثم يمسَح مَوضعَ الورَمِ فيذهَبُ الورَمُ . رواه الإمام أحمد والبخارى فى التاريخ والطبرانى والبيهقى وغيرهم ، وإسناد الحديث لا بأس به .

(١٦) عن سَمُرةَ بن جُندب قال : « كنا مع رسولِ اللهصلى الله عليهوآله وسلم نَتَداولُ فى قَصْعةٍ من غُدْوةٍ حتى الليلِ يقُوم عشَرةٌ ويقعُد

بيده الخ وسبب ذلك أن أباه حذيما وجده حنيفة وأعمامه أتوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى خصومة لهم ومعهم حنظلة غلام فقال أبوه للنبى صلى الله عليه وآله وسلم إن لى بنين ذوى لحى وإن هذا أصغرهم فادع الله له فمسح رأسه بيده وقال له بورك فيك أو بارك الله فيك ، شك من الراوى ، فكان من أثر مسحه ودعائه ما ذكر فى هذا الحديث ، والصلعة بفتح الصاد ما انحسر عنه الشعر من مقدم الرأس وضرع الشاة معروف ، وهذا غير كثير فى جانب بركته صلى الله عليه وآله وسلم ، وما ورد من برء ذوى العاهات والأمراض بتفله عليه الصلاة والسلام أو مسح يده أو دعائه شىء كثير جدا لو جمع لجاء فى كتاب حافل ، ولعل الله يوفقنا إلى جمع ذلك بعد الانتهاء من هذا الكتاب بحول الله ، ورجال هذا الحديث ثقات ومعناه صحيح .

(١٦) سمرة بضم الميم والقصعة بفتح القاف ومن اللطائف اللغوية قولهم : لا تكسر القصعة ولا تفتح الجراب والغدوة ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وفيه معجزة كبيرة فى تكثير الطعام القليل ولهذا نظائر كثيرة فى الصحيحين عن جابر فى غزوة الخندق قال : فانكفأت إلى امرأتى فقلت هل عندك شىء فإنى رأيت بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم خمصا شديدا فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها

عشرةً قلنا فما كانت تُمد قال مِن أيِّ شيءٍ تعجَبُ ؟ ما كانت تُمدُ إلا مِن هٰهُنا وأشار بيدِه إلى السماء» . رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه ، وقصة تكثير الطعام وردت في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما .

(١٧) عن أنسِ بن مالكٍ : «أَن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أَتاه جبريلُ صلى الله عليه وسلم وهو يَلعَبُ مع الغِلْمان فأَخذَه

وطحنت الشعير ثم جئت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فساررته فقلت : يارسول الله ذبحنا بهيمة — بالتصغير — لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال أنت ونفر معك فصاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا أهل الخندق إن جابرا صنع سورا — أي طعاما يدعو إليه الناس — فحي هلا بكم فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء برجال فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي — أي اغرفي — من برمتكم ولاتنزلوها ، وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو ، ووقعت قصص من هذا القبيل في غزوة الخندق وتبوك وغيرهما وهي مخرجة في الصحيحين وبقية كتب الحديث والسيرة .

(١٧) قوله فصرعه أي أضجعه على الأرض اضجاعا لطيفا كما في رواية شداد ابن أوس قوله علقة بفتحات أي قطعة دم منعقدة قوله هذا حظ الشيطان منك ، يعني أن هذه العلقة أو المضغة السوداء كما في رواية أخرى هي محل وسوسة الشيطان من قلب الإنسان فحيث أزيلت عنك ذهب حظ الشيطان ونصيبه منك قوله ثم غسله في طست بفتح الطاء ويجوز ضمها وكسرها وبالسين المهملة ويجوز إعجامها قوله ظئره هي المرضع قوله منتقع اللون أي متغير اللون مثل النقع وهو

فصَرعَه فشَق عن قلبِه فاستخْرَجَ القلبَ فاستخرجَ منه عَلَقَةً فقال هذا حَظُ الشَيطانِ منكَ ثم غسَلَه فى طَستٍ مِن ذَهبٍ

الغبار . وفى حديث شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كنت مسترضعا فى بنى سعد بن بكر فبينا أنا ذات يوم فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملىء ثلجا فأخذونى من بين أصحابى وانطلق الصبيان هرابا مسرعين إلى الحى فعمد أحدهم فأضجعنى على الأرض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئا فإذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبى فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى إنهاضا لطيفا ثم قال للأول زنه بعشرة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم ثم ضمونى إلى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك . الحديث رواه أبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر وفى حديث أبى ذر عند الدارمى : فما هو إلا أن وليا عنى فكأنما أرى الأمر معاينة ، وفى رواية ابن غنم عند الدارمى أيضا : أن جبريل عليه السلام قال قلب وكيع — شديد — فيه عينان تنظران وأذنان تسمعان ، وللحديث طرق أخرى(١) والحكمة فى شق صدره الشريف واستخراج العلقة من قلبه تطهيره من حالات الصبا وتنشئته على الرجولة التامة ولهذا نشأ صلى الله عليه وآله

---

(١) منها حديث عتبة بن عبد السلمى عند الحاكم وصححه على شرط مسلم وسلمه الذهبى

بماء زمزم ثم لأمه ، ثم أعاده فى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ يعنى ظئره ـ فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو

وسلم على أكمل الحالات ، وأفضل الصفات لم يمل إلى شىء مما يميل إليه الصبيان ولم يستهوه ما استهوى غيره من الشبان والفتيان حتى أكرمه الله بنبوته واصطفاه لرسالته صلى الله عليه وآله وسلم ثم شق صدره الشريف مرة ثانية عند بعثته عليه الصلاة والسلام ليتلقى الوحى بقلب قوى واستعداد كامل ثم شق صدره الشريف مرة ثالثة ليلة الإسراء كما ثبت فى البخاري وغيره ليتهيأ للترقى إلى الملأ الأعلى والثبوت فى المقام الأسنى وليتقوى قلبه لمشاهدة العلى الأعلى ولهذا لما لم يتفق لموسى عليه الصلاة والسلام مثل هذا التهيؤ والاستعداد لم تتفق له الرؤية(١) ،

(١) أما نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فالراجح عند أكثر العلماء كما قال النووى أنه رأى ربه ليلة الأسراء بعينى رأسه ، وروى الترمذى من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه فقلت أليس يقول الله لا تدركه الأبصار قال ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى ربه مرتين وروى النسائى بأسناد صحيح وصححه الحاكم أيضا عن عكرمة عن ابن عباس قال أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وللطبرانى فى الأوسط بأسناد رجاله رجال الصحيح غير واحد فوثقه ابن حبان عن ابن عباس أنه كان يقول أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده وروى ابن خزيمة بأسناد قوى عن أنس قال رأى محمد ربه وروى ابن خزيمة عن عبد الرزاق عن معتمر بن سليمان عن المبارك بن فضالة قال كان الحسن — يعنى البصرى — يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وروى ابن خزيمة أيضا عن كعب قال إن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما فرآه محمد مرتين وكلم موسى مرتين وروى أيضا عن عروة بن الزبير إثبات الرؤية أيضا وروى ابن الجوزي فى مناقب الإمام أحمد عن عبدوس بن مالك العطار قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاقتداء بهم ، وذكر أشياء من العقيدة إلى أن قال : وأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى ربه فإنه مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صحيح رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ورواه على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم اهـ وروى الخلال فى كتاب السنة عن المروزى قلت لأحمد أنهم يقولون إن عائشة قالت . من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأى معنى يدفع قولها ؟ =

مُنتَقِعُ اللونِ قال أنَس وقد كنتُ أَرى أثر ذَلكَ المخيطِ في صَدرِه » . رواه مسلم في صحيحه .

وفي هذا الحديث لطائف . منها . أنه تحقق بشق صدره وصدع قلبه إكرامه بالصبر الجميل كما تحقق لجده اسماعيل الذبيح مثل ذلك لصبره على مقدمات الذبح فأثنى الله عليه بذلك لكن صبر نبينا صلى الله وآله وسلم أشد واحتماله أقوى للفارق العظيم بين الأمرين كما لا يخفى ، ومنها غسل قلبه بطست من ذهب وفيه كما قال الحافظ مناسبات منها أنه من أواني الجنة . ومنها أنه لا تأكله النار ولا التراب ولا يلحقه الصدأ ومنها أنه أثقل الجواهر فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام ، لأنه من أواني أحوال الجنة ولا تأكله النار ولا التراب إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ولا يلحقه الصدأ وأنه أثقل من كل قلب عدل به وفيه مناسبة أخرى وهي ثقل الوحي فيه ، هذا كلام الحافظ في الفتح وقال السهيلي =

= قال بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأيت ربي ، فقول النبي أكبر من قولها اهـ وهذا الحديث رواه ابن عباس وأشار أحمد إلى طرقه في كلامه آنفا وأفرد ابن خزيمة في كتاب التوحيد بابا لرؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه تعالى ربه وأطال الاستدلال لذلك وأجاب عن كلام عائشة بأنها نفت الرؤية وابن عباس وأنس وغيرهما أثبتوها والإثبات مقدم على النفي وروى عن عبد الرزاق قال : ذكرت لمعمر حديث عائشة فقال : ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس قال ابن خزيمة : ومحال أن يقال ابن عباس أعظم على الله الفرية ، ولا أظن أحداً من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس أثبت الرؤية بالظن والرأي ولا أنس بن مالك ولا أبو ذر هذا ملخص كلام ابن خزيمة وأما قوله تعالى لا تدركه الأبصار ، فلا يدل على نفي الرؤية لوجهين الأول أن الأبصار لفظ عام أي لا تدركه عموم أبصار الناس ، وخص منه بصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل التمييز والإكرام فتكون الآية من قبيل العام المخصوص وهو كثير في القرآن والسنة ، الثاني أن الإدراك معناه الإحاطة فالآية الكريمة تنفي الإحاطة ونفي الإحاطة لا يستلزم نفي الرؤية ألا ترى أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة ولا يحيطون به بل نحن نرى الشمس والقمر ولا نحيط بهما فكذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى الله من غير أن يحيط به وتعالى الله عن أن يحيط به أحد من خلقه وأما حديث أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه فأجاب عنه ابن خزيمة بأنه يجوز أن يكون سأله قبل حصول الرؤية ثم حصلت بعد ذلك ، قلت : ويتأيد هذا بما ثبت عن أبي ذر نفسه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه بقلبه وثبت ذلك عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أيضا رواه عنهما ابن خزيمة .

(١٨) عن أبى هُريرةٍ رضى الله عنه أَن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قال : « فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍ أُعطِيت جوامعَ

=وابن دحية : إن نظر إلى لفظ الذهب ناسب من جهة إذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه وإن نظر إلى معناه فلو ضاءته ونقائه اهـ ومنها ما ذكره العارف ابن أبى جمرة أنه أعطى برؤية شق صدره وقلبه الشريفين عدم الخوف من العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه الصلاة والسلام قوة الإيمان من ثلاثة أوجه بقوة التصديق والمشاهدة وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له عليه الصلاة والسلام بذلك ما أريد منه من قوة الإيمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه ولأجل ما أعطيه مما أشرنا إليه كان عليه الصلاة والسلام فى العالمين — بفتح الميم أى العالم العلوى والعالم السفلى — أشجعهم وأثبتهم وأعلاهم حالا ومقالا ففى العلوى كان كما أخبر عليه الصلاة والسلام أن جبريل عليه السلام لما وصل معه إلى مقامه قال ها أنت وربك هذا مقامى لا أتعداه فزج فيه أي فى النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت فكان هناك فى الحضرة كما أخبر عنه ربه عز وجل بقوله ما زاغ البصر وما طغى وأما حاله عليه الصلاة والسلام فى هذا العالم فكان إذا حمى الوطيس فى الحرب ركض بغلته فى نحر العدو وهم شاكون سلاحهم ويقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب اهـ وهو نفيس ، لكن ما ذكره عن جبريل من قوله هذا مقامى لا أتعداه ، لم أقف له على إسناد ، «تنبيه» تحريم استعمال الذهب إنما حصل فى المدينة بعد الهجرة وشق الصدر حصل قبل ذلك فلا يرد أن يقال كيف صح غسل قلبه فى طست من ذهب وهو محرم ، لأن استعمال الذهب إذ ذاك كان مباحا والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١٨) قوله : فضلت على الأنبياء بست ، هذا العدد لامفهوم له لأن له فضائل غير هذه الست كما سيأتى قوله : أعطيت جوامع الكلم ، أى الكلم الجوامع وهى الأحاديث القليلة اللفظ الكثيرة المعنى كحديث إنما الأعمال بالنيات فإن فيه من الأحكام والفوائد ما أفرد بالتأليف وله نظائر كثيرة ذكر جملة منها القاضى عياض فى الشفا . وأحاديث الأربعين النووية كلها كلم جوامع وهى متداولة مشهورة ، قوله ونصرت

الـكلِمِ ، ونُصرت بالرُعبِ ، وأحِلّتْ لى الغَنائمُ ، وجُعلَتْ لى

بالرعب ، أى أن الله ينصره بقذف الرعب فى قلوب أعدائه ، زاد فى رواية أخرى فى الصحيحين من حديث جابر . ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر ، قوله وأحلت لى الغنائم ، زاد فى رواية جابر : ولم تحل لأحد قبلى ، والغنائم جمع غنيمة وهى ما يغنم من العدو فى الجهاد ، وكان من قبلنا إذا غنموا غنائم جمعوها فى مكان فتأتى نار من السماء فتأكلها ، كذلك جاء مبينا فى حديث الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قوله ، وجعلت لى الأرض طهورا — بفتح الطاء — أى يتيمم بأجزائها واستدل به على أن التيمم يرفع الحديث كالوضوء قوله : ومسجدا أى موضعا للسجود لا يختص مكان منها دون آخر ، وفى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : وكان من قبلى إنما يصلون فى كنائسهم وفى حديث ابن عباس عند البزار : ولم يكن أحد من الانبياء يصلى حتى يبلغ محرابه واستدل المالـكية والحنفية بقوله : وجعلت لى الأرض طهورا على جواز التيمم بجميع أجزاء الأرض من تراب ورمل وحجر ونحو ذلك وخصص الشافعية التيمم بالتراب فقط متمسكين برواية حذيفة فى صحيح مسلم : وجعلت تربتها لنا طهورا قالوا فهذا خاص يحمل عليه غيره من الروايات التى وردت عامة ونوقشوا فى هذا الاستدلال مناقشات قوية يترجح معها جانب القول الأول المؤيد بعموم قوله تعالى: (فتيمموا صعيدا طيبا) وبهديه عليه الصلاة والسلام فى التيمم فإنه لم ينقل عنه أنه التزم التيمم بالتراب فقط بل كان يتيمم بالأرض التى يصلى عليها ترابا كانت أوسبخة أورملا قوله : وأرسلت إلى الخلق كافة ، أى الإنس والجن ، بهذا نطق القرآن وانعقد عليه الاجماع فمدعى خصوص رسالته بالعرب كافر بلا نزاع ، وهل أرسل إلى الملائـكة ؟ حكى الفخر الرازى الإجماع على أنه غير مرسل إليهم وقال جماعة من الأشعرية أرسل إليهم رسالة تشريف لا تكليف ورجح التقى السبكى أنه أرسل إليهم وكذا رجحه البارزى وزاد أنه أرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات واستدل بشهادة الضب له بالرسالة وشهادة الحجر والشجر وألف الحافظ السيوطى فى الانتصار لهذا القول رسالة سماها تزيين الأرائك فى إرسال النبى صلى الله عليه

الأرضُ طَهوراً ومَسجدًا ، وأُرسِلتُ إلى الخلقِ كافةً ، وخُتِمَ بِي النبيونَ » . رواه مسلم فى صحيحه .

(١٩) عن أبى هريرة قال : « قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم

وآله وسلم إلى الملائك ، استدل فيها بعشرة أدلة أقواها كما قال قوله تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون » يعنى الملائكة إلى أن قال « ومن يقل منهم — أى الملائكة — إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين » قال : فهذه الآية انذار للملائكة على لسان النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى القرآن الذى أنزل عليه وقد قال تعالى « وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » فثبت بذلك إرساله إليهم اهـ وانظر بقية أدلته فى الرسالة المذكورة فهى مطبوعة ضمن كتابه الحاوى للفتاوى ، قوله : وختم بى النبيون ، فهو خاتم الأنبياء أى آخرهم لا نبى معه فى عصره ولا بعد عصره ، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة فالقاديانية الذين يزعمون نبوة غلام أحمد القاديانى كفار مرتدون بإجماع المسلمين لا تصح مناكحتهم ولا تؤكل ذبيحتهم وهم دسيسة استعمارية خدموا مصالح الانجليز فى الهند ، وكان زعيمهم القاديانى يصرح على رؤوس الأشهاد بحبه لانجلترا وولائه لها ويحض أتباعه على خدمتها ويحمد الله على أن وجد فى بلد تحت رايتها إلى غير هذا من أقواله السخيفة المدونة فى كتبهم ، ومثلهم فى الكفر والارتداد وخدمة مصالح الاستعمار فرقة البهائية الذين يزعمون أن الإسلام نسخ بدينهم وينكرون البعث والحشر والجنة والنار والصلاة والصيام ويجيزون إعارة نساء بعضهم لبعض ويؤلهون زعيمهم ويحجون إلى عكا(١) يطوفون بقبر إلههم عباس البهاء وهى قبلتهم فى صلاتهم وهى صلاة خاصة تخالف صلاة المسلمين إلى غير ذلك من القبائح ، وقد غروا كثيراً من الناس بمصر فدخلوا فى ديانتهم ، ولهم بالمحلة الكبرى شعبة نشيطة قاتلهم الله ولعنهم إلى يوم الدين .

(١٩) قوله : وأعطيت جوامع الكلم تقدم شرحه وقال الهروى يعنى به القرآن جمع الله تعالى فى الألفاظ اليسيرة منه المعانى الكثيرة وكلامه صلى الله عليه وآله

---

(١) وحديث «طوبى لمن رأى عكا» مكذوب باطل .

نُصرتُ بالرعبِ وأُعطيتُ جوامعَ الكلمِ وَبَيْنَا أنا نائم أُتيتُ بمفاتيحِ خزائنِ الأرضِ فوُضِعَتْ في يَدى » . قال أبو هريرةِ فذهَبَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وأنتُم تَنتَثِلُونها . رواه البخارى ومسلم .

وسلم كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعانى قوله وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى ، قال النووى : هذا من أعلام النبوة فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمته ووقع كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم ولله الحمد والمنة اه قوله وأنتم تنتثلونها أى تستخرجون ما فيها يعنى خزائن الأرض وما فتح على المسلمين من الدنيا بسبب الفتوحات الإسلامية « تنبيه » ذكر فى هذا الحديث والذى قبله سبع خصال من خصوصياته وبقيت خصال أخرى منها اعطاؤه الشفاعة رواها الشيخان من حديث جابر والمراد بها الشفاعة العظمى ومنها تسميته بأحمد وجعلت أمته خير الأمم رواها أحمد من حديث على عليه السلام ومنها جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة — يعنى فى الصلاة — رواها مسلم من حديث حذيفة ومنها إعطاؤه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش رواها النسائى وابن خزيمة عن حذيفة أيضاً ومنها غفران ماتقدم من ذنبه وماتأخر واعطاؤه الكوثر وكونه صاحب لواء الحمد يوم القيامة رواها البزار عن أبي هريرة ومنها إسلام شيطانه رواها البزار عن ابن عباس ، فهذه ست عشرة خصلة ، قال الحافظ فى الفتح ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع وقد ذكر أبو سعيد النيسابورى فى كتاب شرف المصطفى أن الذى اختص به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ستون خصلة اه قال الحافظ السيوطى فى الخصائص الكبرى : ولم أقف على من عدها وقد تتبعت الأحاديث والآثار فوجدت القدر المذكور وثلاثة أمثاله معه وقد رأيتها أربعة أقسام قسم اختص به فى ذاته فى الدنيا وقسم اختص به فى ذاته فى الآخرة وقسم اختص به فى أمته فى الدنيا وقسم اختص فى أمته فى الآخرة اه ثم أوردها مفصلة على الأبواب فليراجعها من أراد والله ولى التوفيق والسداد .

(٢٠) عن أبي هُريرةَ أيضاقال : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أناأبو القاسِمِ اللهُ يُعطِى وأنا أَقسِمُ رواه الحاكم وصححه وسلمه الذهبي وفى صحيح مسلم عن جابرٍ قال قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم تَسَمَّوا باسمِي ولا تَكَنَّوْا بكُنيتِي فإني أنا أبو القاسمِ

---

(٢٠) قوله : تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى ، قال النووى : اختلف العلماء فى هذه المسألة على مذاهب كثيرة وجمعها القاضى وغيره أحدها مذهب الشافعى وأهل الظاهر أنه لا يحل التكنى بأبى القاسم لأحد أصلا سواء كان اسمه محمداً أو أحمد أم لم يكن لظاهر هذا الحديث والثانى أن هذا النهى منسوخ فإن هذا الحكم كان فى أول الأمر لهذا المعنى المذكور فى الحديث — وهو أن رجلا نادى بالبقيع يا أبا القاسم فالتفت إليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله إنى لم أعنك إنما دعوت فلانا فقال تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى — ثم نسخ قالوا فيباح اليوم التكنى بأبى القاسم لكل أحد سواء من اسمه محمد وأحمد وغيره وهذا مذهب مالك قال القاضى وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار وجمهور العلماء قالوا وقد اشتهر أن جماعة تكنوا بأبى القاسم فى العصر الأول وفيما بعد ذلك إلى اليوم مع كثرة فاعل ذلك وعدم الإنكار الثالث مذهب ابن جرير أنه ليس بمنسوخ وإنما كان النهى للتنزيه والأدب لا للتحريم الرابع أن النهى عن التكنى بأبى القاسم مختص بمن اسمه محمد أو أحمد ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى بواحد من الاسمين وهذا قول جماعة من السلف وجاء فيه حديث مرفوع عن جابر الخامس أنه ينهى عن التكنى بأبى القاسم مطلقا وينهى عن التسمية بالقاسم لئلا يكنى أبوه بأبى القاسم وقد غير مروان بن الحكم اسم ابنه عبد الملك حين بلغه هذا الحديث فسماه عبد الملك وكان اسمه أولا القاسم وفعله بعض الأنصار أيضا السادس أن التسمية بمحمد ممنوعة مطلقا سواء كان له كنية أم لا وجاء فيه حديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم وكتب عمر إلى الكوفة لا تسموا أحداً باسم نبى وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم محمد حتى ذكر له جماعة أن النبى

أقْسِمُ بينكم وفى صحيح مسلم أيضا عن جابر قال وُلِد لرجلٍ منا غُلامٌ فسماه محمداً فقلنا لا نكنيك برسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم حتى تستأمِرَه قال فأتاه فأخْبَره فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم سَمُّوا باسمِي ولا تكْنُوا بكُنيتِي فإنما بُعِثْتُ

صلى الله عليه وآله وسلم أذن لهم فى ذلك وسماهم به فتركهم قال القاضى والأشبه أن فعل عمر هذا اعظام لاسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لئلا ينتهك الاسم كما سبق فى الحديث تسمونهم محمداً ثم تلعنونهم (١) وقيل سبب نهى عمر أنه سمع رجلا يقول لمحمد بن زيد بن الخطاب فعل الله بك يا محمد فدعاه عمر فقال أرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسب بك والله لاتدعى محمداً ما بقيت وسماه عبد الرحمن اهـ وحديث تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم رواه البزار وأبو يعلى وابن عدى والحاكم من حديث أنس وهذا الحديث معدود فى فضائل التسمية باسمه صلى الله عليه وآله وسلم مع دلالته على احترام الاسم الشريف وتوقيره وقال ابن سعد فى الطبقات أنا مطرف بن عبد الله اليسارى حدثنا محمد بن عثمان العمرى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ضر أحدكم أن يكون فى بيته محمد

---

(١) انظر الفارق الكبير بين فعل عمر رضى الله عنه وبين فعل إمام أهل السنة — فى زعم أتباعه — الشيخ محمود خطاب السبكى فقد رد على خصم له اسمه الشيخ محمد الأمير فقال : إن اسمه على وزن مخنث ولقبه على وزن الحمير ! ! لكن لم يكتب الرد باسمه بل تستر باسم بعض أصحابه كعادته فى أغلب ردوده ، حسبما حققه صديقنا العلامة الشيخ مصطفى الحمامى فى كتبه التى كشف بها عن هذا الإمام المزعوم وهذا الشخص فى الحقيقة بعيد عن السنة وأهلها بعداً شاسعا لأنه تعلم فى الأزهر والأزهر أقفر من علوم السنة منذ سنين وقد حضرت درسه فى البخارى قبل أن يحال إلى المعاش فوجدته لا يعرف من الحديث كثيراً ولا قليلا ، وإن أردت أن تعرف قيمة شرحه لأبى داود — وقد هول به أتباعه كثيراً — فاقرأ بعض الشروح المطبوعة بالهند كعون المعبود ، فعند ذلك لا تملك إلا أن تقرأ على شرحه قول القائل :

سارت مشرقة وسرت مغربا   شتان بين مشرق ومغرب

وتخاطب إمام أهل السنة ! ! بقول الآخر :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع

قاسماً أَقسِمُ بينكم ، فهذه الروايات الصحيحة تبين أنه صلى الله عليه وآله وسلم يقسم بين أمتِه ما يرزُقُهم اللهُ من معارفَ وعلومٍ وأموالٍ وغيرِها وليسَ قَسْمُهُ عليه الصلاة والسلام خاصًّا بمالى الفيءِ والغنائم بل هو عام كما ذكرنا والله أعلم .

ومحمدان وثلاثة ؛ وهذا مرسل وأخرج ابن أبي عاصم من طريق ابن أبى فديك عن جهم بن عثمان عن ابن جشيب عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال من تسمى باسمى يرجو بركتى غدت عليه البركة وراحت إلى يوم القيامة ، وجهم جهله أبو حاتم وضعفه الأزدى ، وروى ابن القاسم فى سماعه وابن وهب فى جامعه عن مالك قال سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا ورزق جيرانهم ، وللحافظ أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكير البغدادى جزء مطبوع فى فضل التسمية بمحمد وأحمد وفى عزمى أن أعيد طبعه مع التعليق عليه بما يتمم فوائده ويكمل مقاصده مع بيان علل الأحاديث ونقد أسانيدها ، يسر الله ذلك وأعان عليه قوله يقسم بين أمته مايرزقهم الله من معارف إلخ يؤيد هذا العموم ويؤكده أمران : « الأول » قوله إنما بعثت قاسما وهو إنما بعث لقسم ما أوتى من الهدى والنور والعلم والعرفان فأما قسم الفىء والمغانم فهو أمر ثانوى إنما حصل بعد فرض الجهاد والأمر بقتال المشركين بعد الهجرة ، «الثاني» أنه عليه الصلاة والسلام نهى غيره أن يكتنى بأبى القاسم وعلل النهى بأنه يقسم ولو كان المراد قسم الفىء والمغانم لم يكن لهذا النهى والتعليل معنى لأن كل إمام وخليفة يقسم المغانم بين المجاهدين كما كان يفعل عمر (١) وغيره من الخلفاء وذلك هو المقرر فى الشرع فلولا أنه عليه الصلاة والسلام اختص فى القسم بشىء لم يشركه

---

(١) قال أبو عبيد فى الأموال : أخبرنا عبد الله بن صالح أخبرنا موسى بن على عن أبيه عن عمر خطبهم بالجابية — مكان بالشام — فقال : من أراد القرآن فليأت أبيا ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيدا ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذا ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى فإن الله جعلنى له خازنا وقاسما .

(٢١) عن أبي هريرة قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا سيدُ ولد آدمَ يومَ القيامةِ وأولُ من ينشقُ عنه القبرُ وأولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ رواه مسلم فى صحيحه ، قال العلماء

= فيه غيره لم يكن للنهى معنى كما ذكرنا ولهذا خص جماعة من الصحابة بأنواع من العلوم فاختص زيد بن ثابت بالفرائض ومعاذا بعلم الحلال والحرام وأبيا وابن مسعود بعلم القرآن وحذيفة بعلم أحوال المنافقين وكشف أسرارهم وأبا هريرة بجرابين من العلم بث أحدهما ولم يبث الآخر مخافة القتل كما فى صحيح البخارى ، وعلياً بعلم القضاء وبعلوم أخرى وسماه باب مدينة العلم ، وهكذا كل صحابى له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باب من العلم أو أبواب على قدر استعداده (١) ثم هو صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته حى فى قبره تعرض عليه أعمال أمته فيستغفر لهم ويشفع كما سيأتى فى الحديث السادس والعشرين ، والموفقون من أفراد الأمة يشاهدونه ويسمعون كلامه . ويرون نوره ساريا فى الوجود ، ويرون كل خير واصلا إليهم عن طريقه ، لا يرتابون فى ذلك ، لأنهم رأوه عياناً ، حققنا الله بما حققهم به حتى نزداد معرفة لقدر هذا النبى الكريم . والرسول العظيم ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

(٢١) قوله : «أنا سيد ولد آدم» السيد هو الذى يفزع إليه الناس فى النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم ، وهكذا كان

(١) قال العلامة الذائق المحقق أبو النجا محمد الفوى فى شرحه على سطور الأعلام فى مبانى الإيمان والإسلام لولى الدين أبى زرعة العراقى ما نصه : اعلم أن الله أبرز عالمين إعالما اختراعياً وعالما إبداعياً أشار إليهما بقوله : ألا له الخلق والأمر وقوله عالم الغيب والشهادة فعالم الغيب هو عالم الملكوت وعالم الملكوت هو عالم الاختراع وهو عالم الأمر وهو العالم العلوى وهو عالم الفتق ، وعالم الشهادة هو عالم الملك وعالم الخلق وعالم الإبداع وهو العالم السفلى وهو عالم الرتق ، ولكل عالم من هذه العوالم سر أودعه الله فيه لشهود العظمة وظهور القدرة وقد استودع الله مصطفاه صلى الله عليه وآله وسلم تلك الأسرار الإلهية وجعله أمينا عليها يفيض على من أراد الله ممن أهله لاستفاضتها ما أهله له ويخاطب الناس على قدر عقولهم اهـ بلفظه من نسخة عليها خط الغيطى والشوبرى .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : يوم القيامة ، مع أنه سيدُهم في الدنيا أيضاً لأن في يوم القيامةِ تظهر سيادتُه لكل الناس لا ينازِع فيها منازع بخلافِ الدنيا فقد نازعه في ذلك ملوكُ الكفار وزعماء المشركين ، وهذا مِثلُ قوله تعالى : « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك وإنما قيد بذلك اليوم لخضوع الكل وفقد المنازع :

صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ، فكان يصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويكسب المعدوم ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، كما قالت له خديجة رضى الله عنها ، وكان إذا مات مسلم وعليه دين قضى عنه دينه ، وإذا أتاه ملهوف أغاثه ، وإذا قحط الناس أتوه مستشفعين مستغيثين ، كما قال أبو طالب عمه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقال آخر :

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وأين فرار الناس إلا إلى الرسل(١)

وأما في الآخرة فيفزع إليه أهل الموقف ليشفع إلى الله في إراحتهم من كرب ذلك اليوم وطوله وهوله فيقول : أنا لها أنا لها ، فيذهب إلى العرش فيستأذن فيؤذن له ، فإذا رأى الله سجد وحمد الله بمحامد لم يحمده بها أحد ، فيدعه الله

---

(١) هذا البيت ملفق من بيتين وأصلهما هكذا :

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وقد شغلت أم الصبى عن الطفل

ثم بيتان آخران ثم :

وليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

وهذه الأبيات أنشدها أعرابى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاء مستشفعا به في رفع القحط فدعا فسقاهم الله حتى ضجوا من كثرة المطر فدعا فانزاح عنهم ، وهذه القصة مذكورة بطولها في دلائل النبوة للبيهقي بأسناده عن أنس وهى أحد الأدلة على جواز التوسل والمفرقون في ذلك بين الموت والحياة موتى القلوب عمى البصائر محصورون في دائرة المادة الضيقة

(٢٢) عن أنس رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أولُ الناسِ خروجاً إذا بُعِثوا وأنا خَطيبُهم إذا وفَدُوا وأنا مُبشِّرهم إذا أَيِسُوا لواء الحمدِ يومئذٍ بيدى وأنا أكرمُ وَلَدِ آدمَ على رَبى ولا فَخْرَ » رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب ، ورواه أبو نعيم فى الدلائل ولفظه :

= ساجداً حامداً ماشاء أن يدعه ، ثم يناديه : ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع ، فيكون أول من يشفع وأول من تقبل شفاعته ، ولهذا قال : وأول شافع وأول مشفع بفتح الفاء المشددة . وقوله : وأول من ينشق عنه القبر ، وذلك عند قيام الناس للموقف حين ينفخ فى الصور نفخة ثانية كما قال تعالى : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » وإنما أخبر بأنه سيد ولد آدم ليمتثل قول الله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » وليبين لأمته ذلك حتى يعتقدوه ويعملوا بمقتضاه فلا ينادونه أو يذكرونه باسمه المجرد كما يفعل الوهابية الجفاة وأمثالهم من مقلدة المستشرقين أعداء الله .

(٢٢) قوله : « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا » أى أثيروا من قبورهم . وهذا معنى قوله فى الحديث السابق : وأول من ينشق عنه القبر . قوله : « وأنا خطيبهم إذا وفدوا » أى على ربهم ، لأن العادة فى وفود القوم على الملك أن يتكلم أمامه زعيم القوم ورئيسهم . قوله : وأنا مبشرهم — أى بقبول شفاعتى عند الله — إذا أيسوا من وجود شافع بعد ترددهم على الأنبياء وقول كل نبى : نفسى نفسى ، لواء الحمد ، أى راية الحمد يومئذ — يوم القيامة — بيدى ، وذلك جريا على العادة عند العرب أن اللواء إنما يكون مع كبير القوم ليعرف مكانه . قال الحافظ السيوطى : وهذا لواء معنوى . والمراد أنه يشهر بالحمد فى ذلك اليوم اهـ أى لأنه يحمد الله بمحامد لم يحمده بها أحد قبله ولأن أهل الموقف كلهم آدم

أنا أولهم خُروجاً إذا بعثوا وقائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتُوا وأنا شافعهم إذا حُبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الكرامة ومفاتيح الجنة ولواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى يطوف علىّ ألفُ خادمٍ كأنهن بَيْض مكنون أو لؤلؤ منثور.

(٢٣) عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَثَلى ومَثَلُ

ومن دونه يحمدون موقفه فى الشفاعة العظمى التى اختصه الله بها، ولهذا سمى أيضا صاحب المقام المحمود. قوله: «وأنا أكرم ولد آدم على ربى» أى أكثرهم كرامة عنده، وأوفرهم منزلة لديه، ولا فخر أى لا أقول هذا فخراً، ولكن تحدثا بالنعمة وقياما بواجب التبليغ وإعلاماً للأمة ليزدادوا حباً لى واتباعا لسنتى قوله: فى الرواية الثانية: وأنا خطيبهم إذا أنصتوا أي من هيبة الله وجلال الموقف «وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا»، «يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا». قوله: إذا حبسوا، أى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهم وقوف شاخصة أبصارهم ينتظرون ما يفعل بهم وما يقال لهم. قوله: إذا ابلسوا أى أصيبوا بالإبلاس وهو الانكسار والحزن من غم ذلك اليوم. قوله: لواء الكرامة هو مايعطى فى ذلك اليوم من المزايا والمكرمات ومفاتيح الجنة كناية عن عدم دخول أحد لها قبله. قوله: يطوف على ألف خادم الخ هذا بيان لبعض ما يعطاه فى الجنة. والبيض بفتح الباء بيض النعام. ومعنى مكنون مستور بريشه لايصل إليه غبار ولونه أحسن ألوان النساء واللؤلؤ معروف. ومعنى منثور منتثر غير مجموع فى نظام وذلك لأنهن بطوافهن عليه وقيامهن بخدمته أشبهن لؤلؤاً متفرقا غير مجتمع والله أعلم.

(٢٣) مثلى ومثل الأنبياء الخ المراد من ضرب المثل تقريب المراد للعقل

الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء » رواه مسلم فى صحيحه ورواه أيضاً من حديث أبى هريرة وأبى سعيد ورواه الترمذى من حديث أبى ابن كعب وزاد فى آخره عن النبى صل الله عليه وآله وسلم قال « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » ، ثم قال : حديث حسن .

وتصويره بصورة المحسوس . فإن الأمثال تصور المعانى بصورة الأشخاص ، لأنها أثبت فى الذهن لاستعانته فيها بالحواس ، ومن ثم كان الغرض من التمثيل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالشاهد . قال الزمخشري : التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعانى وإدناء المتوهم من المشاهد ، فإن كان الممثل له عظيما كان الممثل به مثله ، وإن كان حقيراً كان الممثل به كذلك اه . وقال الأصفهانى : لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفى فى إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق تريك المتخيل فى صورة المتحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد اه فالمراد من ضرب المثل فى هذا الحديث بيان حاله صلى الله عليه وآله وسلم مع حال الأنبياء قبله . وذلك أن الأنبياء السابقين بعثوا لقومهم خاصة ، فكانت شرائعهم محدودة تناسب حالهم وزمنهم ، فمثلهم فى ذلك مثل دار بنيت وتم بناؤها إلا أنه ينقصها موضع لبنة حتى جاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم خاتما للنبوة ، وبعث بشريعة تامة عامة لايعتريها نسخ ولا تبديل ، فكان مكانه من تلك الدار موضع اللبنة الناقصة ، فبه تم بناؤها ، وحسن =

(٢٤) عن عبدِ اللهِ بن عَمرو بن العاصِ قال : « قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم حَوْضى مَسيرة شَهْر وزَوَاياه سَواءٌ — أى طُوله كعَرْضه — وماؤه أبيضُ من الورِقِ وريحُه أطيبُ مِن المِسْكِ وكيزانُه كنُجومِ السمَاء فمن شَرِب منه فلا يظْمَأ بعدَه أبداً » رواه البخارى ومسلم وأحاديث الحوض كثيرة بالغة مبلغ التواتر .

= منظرها ، واستوفت أوجه الكمال ، ولهذا لم يبق الناس بعده فى حاجة إلى نبى أو رسول . ويستفاد من الحديث جواز ضرب المثل فى العلم وغيره . وقوله فى الرواية الثانية : « كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » ، بفتح الفاء وكسر الخاء أى غير مفتخر بذلك على ما سبق بيانه . وللدارمى بإسناد رجاله ثقات عن جابر : « أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر » وفى هذه الروايات دليل تفضيله على الأنبياء والملائكة ، لأن هذه الفضائل التى أعطيها لم تعط لنبى ولا ملك صلى الله عليه وآله وسلم وزاده تشريفا وتكريما .

(٢٤) قوله : « حوضى مسيرة شهر » أى مسيرته شهر طولا وعرضاً ، وهذا كناية عن عظمه وسعته . قوله : ماؤه أبيض من الورق بكسر الراء أى الفضة . وفى رواية : اللبن . قوله : كيزانه كنجوم السماء : فى رواية أخرى : والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها . قوله : فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا ، أى ظمأ ألم ، ولكن يظمأ ظمأ اشتهاء والتذاذ ، والظمأ العطش . قال القاضى عياض : ظاهر هذا الحديث أن الشرب من الحوض يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، فهذا هو الذى لا يظمأ بعده . وقيل لا يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار . ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ ، بل يكون عذابه بغير ذلك اهـ =

(٣٥) عن عبدِ اللهِ بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما مِنكُم من أحدٍ إلا وقد وُكِّلَ به قرينُه مِن الجِنِّ وقرينُه من الملائكةِ قالوا وإياكَ يارسولَ الله قال وإيَّاىَ إلا أن الله أعانَنى عليه فأسلَمَ فلا يأمرُنى إلا بخيرٍ» رواه مسلم فى صحيحه .

= «تنبيه» أحاديث الحوض متواترة والإيمان به واجب كما نص عليه القاضى عياض والنووى وغيرهما وجمع الحافظ البيهقى فى كتاب البعث والنشور طرق حديث الحوض فأفاد ، وأوصل الحافظ السيوطى عدد من رواه من الصحابة إلى خمسة وخمسين صحابيا ، ذكر أسماءهم واحداً واحداً مع عزو أحاديثهم وتخريجها فى كتاب الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة ، وأنكره المعتزلة كما أنكروا الشفاعة والميزان[1] لجهلهم بالسنة النبوية ، والله أعلم .

(٣٥) قوله : فأسلم قال النووى برفع الميم وفتحها روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال معناه فأسلم أنا من شره وفتنته ، ومن فتح قال إن القرين أسلم من الإسلام وصار مؤمنا لا يأمرنى إلا بخير . واختلفوا فى الأرجح منهما فقال الخطابى : الصحيح المختار الرفع ، ورجح القاضى عياض الفتح وهو المختار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «فلا يأمرنى إلا بخير» . واختلفوا على رواية الفتح . قيل أسلم بمعنى استسلم وانقاد . وقد جاء هكذا فى غير صحيح مسلم فاستسلم . وقيل معناه صار مسلما مؤمنا ، وهذا هو الظاهر . قال القاضى : واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه اهـ قلت : الصحيح الراجح مارجحه عياض والنووى أنه أسلم من الإسلام[2] لما =

---

(١) وقلدهم مبتدع أزهرى فأنكر الميزان فى محاضرة له ، كما قال فى كلمة له نشرته بمجلة الرسالة الملحدة : إن الشيطان قوة الشر الكامنة فى النفس ! ! وله غير هذا طامات ومصائب أراد بها الشهرة والظهور على حساب العلم والدين ، وكم له فى الأزهريين من نظير .

(٢) روى الطحاوى فى مشكل الآثار حديث ابن مسعود كما فى صحيح مسلم وروى من طريق مجالد عن الشعبى عن جابر قال : قال لنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لا تدخلوا على المغيبات — جمع مغيبة وهى المرأة التى غاب عنها زوجها بسفر أوغيره — فإن الشيطان =

(٢٦) عن ابن مسعود أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « حَياتي خيرٌ لكُم تُحدِّثُونَ ويُحْدَثُ لكم ووفاتي خير لكم تُعرَضُ عليّ أعمالكُم فما رأيتُ مِن خيرٍ حمدتُ الله وما رأيتُ

= رواه البزار عن أبي هريرة مرفوعا : « فضلت على الأنبياء بخصلتين : كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه حتى أسلم ، ونسيت الأخرى » وللبيهقي في الدلائل بإسناد ضعيف عن ابن عمر مرفوعا : « فضلت على آدم بخصلتين : كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه حتى أسلم وكن أزواجي عونا لي وكان شيطان آدم كافراً وزوجه عونا على خطيئته » وعلى هذا درج أصحاب الخصائص فعدوا من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم إسلام قرينه . وفي الحديث الإخبار بوجود القرين مع كل واحد منا لنحترز من وسوسته وفتنته وإغوائه ، والله المستعان على ذلك وبه التوفيق .

(٢٦) قوله : حياتي خير لكم أي فيها خير لكم تحدثون — بضم التاء وسكون الحاء وكسر الدال — أي أموراً وأشياء مما لم يكن فيها حكم ويحدث لكم — بضم الياء وفتح الدال المخففة — أي يحدث الله لكم من الأحكام بقدر ما حدث منكم مما يقتضي ذلك ووفاتي خير لكم أي فيها خير لكم ثم بين ذلك الخير بقوله :

= يجري من أحدكم مجرى الدم قيل : ومنك يا رسول الله قال : ومني لكن الله أعانني عليه فأسلم ، وروى أيضا عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة وكان معي على فراشي فوجدته ساجداً وذكرت الحديث قالت : فلما انصرف قال : يا عائشة أخدعك شيطانك فقالت : أما لك شيطان قال : ما من آدمي إلا وله شيطان فقلت : وأنت يا رسول الله قال : وأنا ولكني دعوت الله فأعانني عليه فأسلم ، قال الطحاوي : فوقفنا بهذا على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في هذا المعنى كسائر الناس ، وأن الله أعانه عليه بإسلامه فصار في السلامة منه بخلاف غيره من الناس ، ثم قال الطحاوي : فإن قال قائل قد روى في هذا الباب شيء يجب الوقوف عليه لرفع التضاد عما خص به من إسلام شيطانه ثم أسند من حديث صفوان الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال : « بسم الله وضعت جنبي اللهم اغفر ذنبي واخسأ شيطاني وفك رهاني وأثقل ميزاني واجعلني في الندى الأعلى » قيل له : هذا عندنا والله أعلم كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل إسلام شيطانه فلما أسلم استحال أن يدعو صلى الله عليه وآله وسلم فيه بذلك مع إسلامه الذي هو عليه اهـ وهو جمع جيد والله أعلم .

من شرٍ استغفرتُ اللهَ لكُم » رواه البزارُ باسنادٍ جوَّده الحافظ العراقى وصححه الحافظ الهيثمى والجلال السيوطى والشهاب القسطلانى ورواه إسماعيلُ بن اسحاقَ القاضِى فى كتاب الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم من حديث بَكْر بن عبدِ الله المُزَنِى مرسلا بإسنادَين صحّح أحدَهما الحافظُ ابنُ عبد الهادى المقدسِى وله مع هذا طُرق كَثيرة ، وعَرْضُ الأعمال عام لجميع المسلمين إلا طائفة من العُصاةِ والمبتَدعين سَبق القضاء بنُفوذِ الوعيدِ فيهم لا تُعرَضُ أعمالُهم عَليه فإذا دعَاهم يومَ القيامة إلى حَوضِه قيل له لا تَدرِى ما أحدَثُوا بعدَكَ فيقول سُحْقًا لمن بدَّل بعدى سُحْقًا لمن بدّلَ بعدى كما جاء فى الصحيحين من طرق ، وبهذا يتفق الحديثانِ ولا يبقَى بينهما تعارض البتَّة ، أما ترجيحُ أحدِهما على الآخَرِ مع إمكانِ الجمعِ فغيرُ جائزٍ لأنه إلغاء لأحد الدليلَين لغير مقتضٍ وهو حَرام كما نص عليه العلماء .

تعرض على أعمالكم وهذا لفظ عام يشمل عرض جميع الأعمال من جميع الأمة إلا من كان مرتداً أو كافراً عياذاً بالله تعالى ، وهذا يستلزم حياته فى قبره لأن العرض يقتضى ذلك عقلا فما رأيت من خير حمدت الله عليه وسررت به وما رأيت من شر استغفرت الله لكم أى طلبت المغفرة لكم من الله ، وفيه تحريض على ترك المعاصى بطريق لطيف لأن من علم أن عمله يعرض على نبيه اجتهد أن يسره وألا يحوجه إلى الاستغفار من عمله ، وقد ذكرت هذا الحديث بأسناده وأوردت بعض الطرق المؤيدة له فى كتاب الرد المحكم المتين فليراجع .

(٢٧) عن جابرٍ أنه سمع عمرَ بْن الخطاب رضى الله عنه يقول للناسِ حينَ تزوجَ ابنةَ علىٍّ رضى الله عنهما ألا تُهنُّونى سمعت رسولَ

(٢٧) قوله : ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب لقوله تعالى (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ، قوله : إلا سببى ونسبى ، أى فإنه موصول غير مفصول وهذا من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكره الحافظ السيوطى فى الخصائص الكبرى ولهذا حرص عمر بن الخطاب رضى الله عنه على زواج ابنة على رضى الله عنهما واسمها أم كلثوم ليكون له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبب صهارة ينال به القرب منه يوم القيامة ، وفى هذا دليل على فضل أهل البيت وأن نسبهم موصول فى الدنيا والآخرة وأن فى الانتساب إليهم ومصاهرتهم شرفا وفضلا وليس بين هذا الحديث وحديث يا فاطمة اعملى[١] الخ

(١) لفظ الحديث « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالى ما شئت أنقذي نفسك من النار فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً » وذا طرف من حديث طويل ثبت فى الصحيحين وغيرهما وحاصل الجمع بينه وبين حديث الترجمة من وجوه ثلاثة ، الأول أن هذا الحديث أخبر بالحقيقة فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يغنى عن أحد من الله شيئاً ولا يملك لأهله ولا لغيرهم نفعا ولا ضراً وهذا لا ينافى أن الله يملكه نفع أقاربه وجميع أمته بالشفاعة الخاصة والعامة ، وقد فعل فأعطاه عدة شفاعات كما ثبت فى الأحاديث الكثيرة فى الصحيحين وغيرهما ، فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه عز وجل وقد ملكه الله الشفاعة وغيرها من المكرمات ، ذكر هذا المعنى الحافظ المحب الطبرى فى ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى ؛ الثانى : أن هذا الحديث كان قبل أن يعلمه الله بأنه ينفع يوم القيامة رحمه وأقاربه بالانتساب إليه دون غيره ، ذكره السيد السمهودى فى جواهر العقدين ، ويؤيده أن الحديث ورد عند نزول قوله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين) وكان ذلك بمكة فى أوائل ، بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم الثالث : أن يكون المقصود من الحديث تحذيرهم من الشرك وأنه لا يملك لهم من الله شيئاً إن أشركوا أو استمر من كان منهم مشركا على إشراكه لأن المشرك لا حظ له فى الشفاعة ، ويؤيد هذا أمور أحدها أن أغلب أقاربه كانوا إذ ذاك مشركين كما يعلم من سبب ورود الحديث ، ثانيها أنه وجه الخطاب إلى جميع أقاربه مؤمنيهم ومشركيهم فوجب أن يكون على وتيرة واحدة هى التحذير من الشرك كما هو واضح ، ثالثها ما ثبت فى الصحيح فى قصة وفاة أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « أى عم قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عندالله » فأفاد هذا الحديث أنه يملك نفعه ويحاج عنه إذاهو مات على التوحيد ، =

اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ « يَنْقَطِعُ يومَ القيامةِ كلُّ سببٍ ونَسبٍ إلاّ سببي ونَسبي » رواه الطبراني والدارقُطني وقال الحافظ الهيثمي رجاله رجال الصحيح غيرَ الحسنِ بن سَهْلٍ وهو ثقة قلت : وصححه أيضاً التاج السبكي في أول طبقات الشافعية الكبرى وللحديث مع هذا طرق عن عمرَ وابنِ عباس والمِسْوَرِ بنِ مَخْرَمة وعبدِ الله بن الزُبير وعبدِ الله بن عمرَ وغيرهم وقد أوردتُ هذه الطرقَ في كتابي الرد المحكم المتين وجمعت بينها وبين حديث الصحيحين : يا فاطمةُ اعملِي فإنّي لا أُغني عنكِ مِن اللهِ شيئاً .

(٢٨) عن سَعد بن أبي وقّاصٍ رضي الله عنه قال : رأيتُ عن يمين

تعارض أصلا كما بينته في الرد المحكم المتين من ثلاثة أوجه ، وبينت فساد ما يزعمه الوهابية الجهلة أعداء أهل البيت النبوي الشريف . فليراجعه من أراد والله ولي التوفيق والسداد .

(٢٨) قوله : عليهما ثياب بيض بكسر الباء وفي رواية أخرى ثياب بياض ،

= وقد روى أحمد والحاكم والبيهقي من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر : « مابال رجال يقولون إن رحم رسول الله لا تنفع قومه يوم القيامة ، بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض » فهذا الحديث ورد بالمدينة ، وقد أنكر فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على من زعم أنه لا ينفع رحمه ولا يملك الشفاعة لهم وقرر أن رحمه موصولة في الدنيا والآخرة وأنه بجانب هذا ينفع أمته أيضا حيث يكون فرطا لهم على الحوض ، وهذا يؤيد ما قررناه والحمد لله ؟

رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وعن يساره يومَ أُحُدٍ رجلين عليهما ثياب بيضٌ يُقاتلان عنه كأشدِ القتالِ ما رأيتُهما قبلُ ولا بعدُ يعنى جبريلَ وميكائيلَ عليهما السلامُ ، رواه البخاري ومسلم.

(٢٩) عن أنس قال : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم « آتى بابَ الجنةِ يومَ القيامةِ فأستفتحُ فيقولُ الخازنُ مَن أنتَ فأقولُ محمد فيقولُ بِكَ أُمِرتُ ألاَّ أفتح لأحدٍ قبلَكَ » رواه مسلم فى صحيحه .

قال النووى : فى هذا الحديث بيان كرامة النبى صلى الله عليه وآله وسلم على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه وبيان أن الملائكة تقاتل وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح فى الرد عليه وفيه فضيلة الثياب البيض وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبيا بل يراهم الصحابة والأولياء وفيه منقبة لسعد بن أبي وقاص الذى رأى الملائكة اهـ وقد رأى جماعة من الصحابة جبريل عليه السلام فى صورة دحية منهم ابن عباس وعائشة وأم سلمة وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين حتى اكتوى ثم لما زال أثر الكى عادت إلى السلام عليه كما بينته فى كتاب الحجج البينات فى إثبات الكرامات وبالله التوفيق .

(٢٩) قوله : فيقول بك أى بسببك ولأجلك أمرت أى أمرنى الله ألا أفتح باب الجنة لأحد قبلك لا من الأنبياء ولا من غيرهم فهو أول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها وهذا من خصائصه كما ذكره العلماء وهذا الحديث رواه مسلم فى كتاب الإيمان من صحيحه ورواه الإمام أحمد أيضاً وهو أول حديث فى الجامع الصغير والجامع الكبير للحافظ السيوطى والله أعلم .

(٣٠) عن ابنِ عباسٍ رضى الله عنهما قال «كانَ رســولُ اللهِ صلى الله عليـه وآله وسلم أَجْوَدَ الناسِ بالخيرِ وكانَ أَجْوَدُ ما يكونُ فى شهرِ رمضانَ إنَ جبريل عليه السلامُ كانَ يلقاه فى كلِّ سنةٍ فى رَمضانَ حتى يَنسلِخَ فيَعْرِضُ عليه رسولُ

(٣٠) قوله : وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان روى برفع أجود ونصبه قال النووى : والرفع أصح وأشهر وفى هذا الحديث كما قال النووى فوائد منها بيان عظم جوده صلى الله عليه وآله وسلم واستحباب إكثار الجود فى رمضان وزيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم ومنها استحباب مدارسة القرآن اهـ وفى زاد المعاد لابن القيم ما نصه : كان صلى الله عليه وآله وسلم أعظم الناس صدقة بما ملكت يده وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه لله تعالى ولا يستقله ولا يسأله أحد شيئاً عنده إلا أعطاه قليلا كان أو كثيراً وكان عطاؤه عطاء من لا يخشى الفقر وكان العطاء والصدقة أحب شىء إليه وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه وكان أجود الناس بالخير يمينه كالريح المرسلة وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه تارة بطعامه وتارة بلباسه وكان يتنوع فى أصناف عطائه وصدقته فتارة بالهبة وتارة بالصدقة وتارة بالهدية وتارة بشراء الشىء ثم يعطى البائع الثمن والسلعة جميعاً كما فعل بجابر وتارة كان يقترض الشىء فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر ويشترى الشىء فيعطى أكثر من ثمنه ويقبل الهدية ويكافىء عليها بأكثر منها أو بأضعافها تلطفا وتنوعا فى ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله فيخرج ما عنده ويأمر بالصدقة ويحض عليها ويدعو إليها بحاله وقوله : فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى وكان هديه صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم أشرح الخلق صدراً وأطيبهم نفساً وأنعمهم قلباً فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجيبا فى شرح

اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم القُرآنَ فإذا لَقِيه جبريلُ كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَجْوَدَ بالخيرِ من الريحِ المُرْسَلَةِ » رواه البخارى ومسلم وفى الصحيحين أيضاً عن جابر ابن عبدِ الله قال ما سُئِلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قطُ فقالَ : لاَ .

(٣١) عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : « قال رسولُ اللهِ صلى الله

الصدور وانضاف ذلك إلى ماخصه الله به من شرح صدره للنبوة والرسالة وخصائصها وتوابعها وشرح صدره حسياً وإخراج حظ الشيطان منه اهـ وهو نفيس جداً قوله : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط فقال : لا معناه كما قال العلماء أنه إذا كان عنده شيء أعطاه للسائل وإن لم يكن عنده سكت أو وعد بالعطاء ولا يقول : لا ؛ لما فى هذه الكلمة من قطع طمع السائل وكسر خاطره وما كان من خلقه عليه الصلاة والسلام قطع رجاء من أمله أو رده خائبا .

حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه   أو يرجع الجار منه غير محترم

وإذا كان الفرزدق يقول فى على زين العابدين عليه السلام :

ما قال : لا قط إلا فى تشهده   لو لا التشهد كانت لاؤه نعم

فما ظنك بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فإن قيل هذا ينافى قوله تعالى (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه) ، حيث أثبتت الآية الكريمة ضد ما أفاده هذا الحديث فالجواب أنه لا منافاة بينهما لأن الآية لم تثبت له قول لا المجردة الدالة على عدم الإعطاء ، وإنما أثبتت قول لا المقرونة بالفعل المضارع الدال على الحال أى لا أجد الآن ما أحملكم عليه وأرجو فى المستقبل فهو فى معنى العدة كما لا يخفى والله أعلم .

(٣١) قوله «أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فأنه يوم مشهود تشهده الملائكة» أى يأتون أبواب المساجد ويكتبون الأول فالأول حتى إذا خرج الإمام طووا

عليه وآله وسلم أكثِروا مِن الصلاةِ عليَّ يومَ الجمعةِ فإنه يومٌ مشهودٌ تَشْهَدُه الملائكةُ وإنّ أحداً لن يصلِّيَ عليّ إلاّ عُرِضَتْ عليّ صلاتُه حتى يفرُغَ منها قال : قلتُ وبعدَ الموتِ قال :

الصحف وقعدوا يستمعون الذكر قوله : وإن أحدا لن يصلى على إلا عرضت صلاته — من أول ما ينطق بها — حتى يفرغ منها بأن تبلغها الملائكة إليه فيدعو للمصلين عليه ويستغفر لهم كما جاء فى حديث عمر عند ابن بشكوال والحكمة فى تخصيص كثرة الصلاة عليه بيوم الجمعة أنه أفضل الأيام كما صح فى الحديث وهو أفضل المخلوقات فكانت بينهما مناسبة ظاهرة قوله : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء كناية عن عدم لحوق البلى لأجسادهم الشريفة مهما تطاول عليهم الزمان ، قوله «فنبي الله حي يرزق» ، هذا مأخوذ من القرآن الكريم فان الله تعالى قال : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم » ، الآية والأنبياء أولى بهذا من الشهداء إجماعا وفى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مر ليلة الإسراء على موسى وهو قائم يصلى فى قبره ، أخرجه مسلم عن أنس ولأبى يعلى باسناد صحيح عن أنس مرفوعاً الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون وفى الباب أحاديث ذكر الحافظ البيهقى جملة منها فى جزء حياة الأنبياء وهو مطبوع ، بل بلغت فى الكثرة إلى حد التواتر كما نص عليه الحافظ السيوطى فى مرقاة الصعود حاشية سنن أبى داود وفى إنباه الأذكياء بحياة الأنبياء وأدرجها شيخ بعض شيوخنا العلامة المحدث أبو عبد الله السيد محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه نظم المتناثر . من الحديث المتواتر ، وذكر القرطبى ووافقه ابن القيم أن حياة الأنبياء فى قبورهم مقطوع بها ، وذلك لتواتر أحاديثها كما بينا ولانعقاد الاجماع عليها حكاه ابن حزم فى المحلى والحافظ السخاوى فى القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ، وانظر كتابى الرد المحكم المتين فقد حررت فيه هذا البحث تحريرا وافيا ، قوله فى حديث أوس (فيه خلق آدم) الخ . وفى صحيح

إِنَّ اللَّهَ حرمَ عَلَى الأرضِ أن تأكلَ أجْسَادَ الأنبياء » رواه ابن ماجه والطبرانى بإسنادٍ جيد ورواه ابن المقرى من طريق آخر وزاد فى آخرِه من كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

مسلم عن أبى هريرة مرفوعا خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها ولأحمد وابن ماجه باسناد حسن عن أبى لبابة بن عبدالمنذر مرفوعا «إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر وفيه خمس خلال خلق الله فيه آدم وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض وفيه توفى الله آدم وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئا إلا أعطاه إياه مالم يسأل حراما وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة» ولابن خزيمة وابن حبان عن أبى هريرة مرفوعا «لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة وما من دابة إلا وهى تفزع يوم الجمعة إلا هذين الثقلين الجن والإنس» : قوله : أرمت بفتح الهمزة والراء أى صرت رميما وإنما قالوا ذلك لعدم علمهم بما خص الله به أنبياءه بعد وفاتهم فأخبرهم صلى الله عليه وآله وسلم أن الأنبياء لا يبلون فهو صلى الله عليه وآله وسلم حى فى قبره الشريف تعرض عليه أعمال أمته ومنها صلاتهم عليه وإذاسلم عليه أحد رد عليه السلام كما ثبت فى أحاديث أخرى وروى البيهقى فى جزء حياة الأنبياء عن سليمان بن سحيم قال : رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى النوم فقلت : يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم ؟ قال نعم : وأرد عليهم ، وروى أبو نعيم عن سعيد ابن المسيب قال : لقد رأيتنى ليالى الحرة وما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيرى وما يأتى وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر ، وللزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن سعيد نحوه ، قوله : صححه ابن حبان والحاكم ، قلت . قال الحاكم بعد أن رواه هذا حديث صحيح على شرط البخارى ، وسلمه الحافظ الذهبي والله أعلم «تنبيهات» الأول قال القاضى عياض : اعلم أن الصلاة على النبى

«فنبي اللهِ حى يرزَقُ»، ولأحمدَ وأبي داودَوابن ماجه من حديث أوسِ بن أوسٍ قال : قال رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم «مِن أَفضلِ أيامكم يَومُ الجمعةِ فِيه خُلِقَ آدمُ وفيهِ قُبِضَ وفيهِ

صلى الله عليه وآله وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه اه والواجب منها تكفي فيه مرة واحدة وما زاد عليها فهو مندوب مرغب فيه لأنه من شعار الإسلام، وأما الصلاة عليه في التشهد الأخير من الصلاة فذهب الشافعي إلى وجوبها وقال: تبطل الصلاة بتركها ووافقه محمد بن المواز من أئمة المالكية وذهب جمهور العلماء إلى أنها سنة لا تبطل الصلاة بتركها «الثانى» تسن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى سائر الأزمان والأمكنة لكن تتأكد فى حالات خاصة وردت بها السنة مثل يوم الجمعة كما ذكر فى حديث الترجمة ، قال الحافظ ابن حجر : تتأكد الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى مواضع ورد فيها أخبار خاصة أكثرها بأسانيد جياد عقب (١) إجابة المؤذن (٢) وأول الدعاء (٣) وأوسطه (٤) وآخره وأوله آكد (٥) وآخر القنوت (٦) وفى أثناء تكبيرات العيد (٧) وعند دخول المسجد (٨) والخروج منه (٩) وعند الاجتماع (١٠) والتفرق (١١) وعند السفر (١٢) والقدوم (١٣) والقيام لصلاة الليل (١٤) وختم القرآن (١٥) وعند الكرب والهم (١٦) وقراءة الحديث (١٧) وتبليغ العلم (١٨) والذكر (١٩) ونسيان الشيء وورد أيضا فى أحاديث ضعيفة عند (٢٠) استلام الحجر (٢١) وطنين الأذن (٢٢) والتلبية وعقب (٢٣) الوضوء (٢٤) وعند الذبح (٢٥) والعطاس وورد المنع منها عندها أيضا اه ومن المواضع التى تتأكد فيها أيضا عند (٢٦) التشهد الأول فى الصلاة وبعد (٢٧) التكبيرة الثانية فى صلاة الجنازة وفى (٢٨) خطب الجمعة والعيدين وعند (٢٩) ذكره (٣٠) وعند الخروج إلى السوق أو إلى دعوة وعند (٣١) رؤية المساجد والمرور عليها وعند (٣٢) كتابة اسمه الشريف وفى (٣٣) أول النهار وآخره (٣٤) وعقب الذنب (٣٥) إذا أريد تكفيره وعند (٣٦) حصول الفقر أو خوف

النَّفخةُ وفيهِ الصَّعقةُ فأكثِرُوا عليَّ من الصلاةِ فيه فإنَّ صلاتَكُم معروضةٌ عليَّ قالوا يا رسولَ اللهِ وكيف تُعرَضُ عليك صلاتُنا وقد أَرَمْتَ — يعنى بَلِيتَ — فقال إنَّ اللهَ عز جلَّ حرَّمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ، صححه ابن حِبَّانَ والحاكمُ.

حصوله وعند (٣٧) خطبة النكاح وعند (٣٨) دخول المنزل وعند (٣٩) عروض الحاجة وأريد قضاؤها وعند (٤٠) النوم وإذا (٤١) أراد الشخص الصدقة ولم يكن عنده مال وفى (٤٢) الصلاة إذا مر ذكره حال القراءة فى غير التشهد. وعند (٤٣) كل كلام خير ذى بال، وقد ذكر الحافظ ابن القيم فى جلاء الأفهام والحافظ السخاوى فى القول البديع هذه المواضع مع إيراد ما ورد فيها من الآثار وكلا الكتابين مطبوعان « الثالث » قال أبو العالية معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه ونقل القاضى عياض عن بكر القشيرى قال الصلاة على النبى من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبى رحمة وقال الحليمى فى شعب الإيمان — وهو كتاب نفيس ينقل عنه البيهقى كثيراً فى كتاب الأسماء والصفات — أما الصلاة فى اللسان فهى التعظيم وذكر كلاما فى هذا المعنى إلى أن قال: فإذا قلنا اللهم صلى على محمد فإنما نريد اللهم عظم محمداً فى الدنيا باعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته وإجزال أجره ومثوبته وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود وتقديمه على كافة المقربين الشهود اهـ قال الحافظ: ولا يعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه فإنه لا يمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به اهـ وأما تفسير الصلاة عليه بالرحمة أو المغفرة فقد أبطله ابن القيم وخطأ قائله من عدة وجوه قوية ذكرها فى جلاء الأفهام، قال القاضى عياض رضى الله عنه: وفى معنى السلام عليه ثلاثة وجوه أحدها السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدراً كاللذاذ واللذاذة الثانى السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون السلام هنا اسم الله تعالى، الثالث أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون =

(٣٢) عن عائشةَ رضى اللهُ عنها قالت « مَا ضَربَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم شيئًا قَطُّ بيـدِهِ ولا امرأةً ولا خَادِماً إلاّ أَنْ

═حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) اهـ «الرابع» قال الشيخ مصطفى التركمانى فى شرح مقدمة أبى الليث ما نصه : فإن قيل ما الحـكمة فى أن الله تعالى أمرنا أن نصلى عليه ونحن نقول اللهم صل على محمد فنسأل الله تعالى أن يصلى عليه ولا نصلى عليه نحن بأنفسنا يعنى بأن يقول العبد أصلى على محمد قلنا لأنه صلى الله عليه وآله وسلم طاهر لا عيب فيه ونحن فينا المعايب والنقائص فكيف يثنى من فيه معايب على طاهر فنسأل الله تعالى أن يصـلى عليه لتكون الصلاة من رب طاهر على نبى طاهر ، كذا فى المرغينانى اهـ ومن حكمة ذلك أيضا كما ذكره أبو اليمن ابن عساكر وغيره أننا لا نبلغ قدر الواجب من ذلك ولا نعرف ما يليق به فوكلناها إلى الله تعالى لأنه يعلم ما يليق بنبيه فهو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا أحصى ثناء عليك ومباحث الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم من حيث فضلها ومواضعها وفوائدها وغير ذلك واسعة منتشرة أفردت بتآليف عديدة من أحسنها وأجمعها جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم واجمع منه كتاب القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع للحافظ السخاوى وهو كتاب نفيس لا يستغنى عنـه . وقد جمع الشيخ النبهانى مقاصد هذين الـكتابين وغيرهما فى كتاب « سعادة الدارين » فجاء كتابا حافلا رحم الله مؤلفه وجزاه عن صنيعه خير الجزاء وبالله التوفيق .

(٣٣) قوله : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً » ، فيه دليل على حسن خلقه وكرم طبعه وكثرة حلمه . وفى الصحيح عن أنس : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس خلقاً » وقال أنس أيضاً : « خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسع سنين فما أعلمه قال لى قط لم فعلت كذا وكذا ولا عاب على شيئاً قط » ، والخبر عن حلمه صلى الله عليه وآله وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن يحصر ، ويكفى دليلا على ذلك قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » . قوله : إلا أن يجاهد

يُجَاهِدَ فى سبيلِ اللهِ وما نِيلَ منه شَىءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ من صاحبِه إلاّ أن يُنْتَهَكَ شىءٌ مِن محارِمِ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ عزَّ وجلَّ » رواه مسلم فى صحيحه .

(٣٣) عن أنسٍ قال « ما مسِستُ حَريراً ولا دِيباجاً ألْيَنَ مِن كَفِّ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ولا شَمِمْتُ مِسْكا ولاَ عَنبراً

فى سبيل الله فيكون الضرب حينئذ فى طاعة الله ومرضاته . قوله : إلا أن ينتهك شىء من محارم الله . هذا استثناء منقطع . والمعنى لكن إذا انتهك شىء من محارم الله انتصر لله تعالى وانتقم ممن ارتكب ذلك فيكون منتقما لله ، لا لنفسه . وفى الحديث استحباب الرفق واللين والحث على العفو والحلم واحتمال الأذى وترك ضرب الزوجة والخادم وإن كان مباحاً والانتصار لدين الله تعالى وعدم التساهل مع من ارتكب محرماً ونحوه وأنه ينبغى للأئمة والقضاة والولاة أن يتخلقوا بهذا الخلق الكريم فلا ينتقمون لأنفسهم ولا يتساهلون فى حق الله تعالى ، إلى غير ذلك مما بينه العلماء والله أعلم

(٣٣) قوله : «ما مسست حريراً ولاديباجاً» الخ فيه دليل على لين مسه وطيب ريحه وعرقه . قال النووى : قال العلماء كانت هذه الريح الطيبة صفته صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يمس طيباً ، ومع هذا فكان يستعمل الطيب فى كثير من الأوقات مبالغة فى طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحى الكريم ومجالسة المسلمين اهـ . وفى صحيح مسلم أيضا من طريق آخر عن أنس قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله وآله وسلم ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» . قوله : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عندنا الخ معناه ظاهر وله طريق آخر فى الصحيح أيضا . وللدارمى والبيهقى وأبى نعيم عن جابر قال : «كان

أَطْيبَ من رِيحِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم » رواه البخارى ومسلم وفى صحيح مسلم عن أنسٍ أيضاً قال : دخَلَ علينا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فقَال عندنا — نَامَ نومَ القَيْلُولَةِ — فعَرِقَ وجاءتْ أُمّى بقَارُورَةٍ فجعلَتْ تَسْلُتُ العرَقَ فاستيقظَ

فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصال : لم يكن فى طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه أو عرفه — بفتح العين أى ريحه — ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له » وأخرج أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة قال « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله إنى زوجت ابنتى وأحب أن تعيننى قال ما عندى شىء ولكن ائتنى بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة فأتاه بهما فجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم يسلت العرق من ذراعيه حتى امتلأت القارورة قال فخذها ومر ابنتك أن تغمس هذا العود فى القارورة وتتطيب به فكانت إذا تطيبت به يشم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب ، فسموا بيت المطيبين . وروى عبدان فى الصحابة والخطيب فى المؤتلف من طريق أبى بكر بن عياش عن حبيب بن حدرة عن حريش — بفتح الحاء المهملة — قال : كنت مع أبى حين رجم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ماعزاً ، فلما أخذته الحجارة أرعدت فضمنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم اليه فسال على من عرقه مثل ريح المسك وفى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الأولى — أى الظهر — ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان — جمع وليد أى صبيان — فجعل يمسح خدى أحدهم واحداً واحداً قال وأما أنا فمسح خدى فوجدت ليده برداً أو ريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار ، والجؤنة بضم الجيم وبالهمز وعدمه سليلة مستديرة يجعل العطار فيها ما عنده من الطيب وروى ابن الأعرابى فى جزء القبل عن أسامة بن شريك قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أصحابه على رؤوسهم الطير فجاء الأعراب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قام وقام الناس فجعلوا يقبلون

النبي صلى اللهُ عليه وآله وسلم فقال يا أُمَّ سُلَيمٍ ما هذَا الذى تَصنعِينَ قالت هذا عَرَقٌ نجعلُه لِطِيبِنا وهو أَطْيبُ الطيبِ .

(٣٤) عن أنس رضى الله عنه قال : « قال رسولُ الله صلى الله عليه

يده فأخذتها فوضعتها على وجهى فإذا هى أطيب من ريح المسك وأبرد من الثلج اسناده قوى وفى صحيح مسلم عن أنس قال كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه ، فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتيت — بكسر التاء الأولى — فقيل لها هذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم نام فى بيتك على فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم — بوزن عظيم — على الفراش ففتحت عتيدتها — بفتح العين صندوق صغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها — فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها ففزع — استيقظ — النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما تصنعين يا أم سليم فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال أصبت ، وفى هذا الحديث استحباب التبرك بآثاره صلى الله عليه وآله وسلم وقد وردت فى ذلك أحاديث كثيرة فى الصحيحين وغيرهما والله أعلم .

(٣٤) قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده » الخ قال القاضى عياض وابن بطال وغيرهما : المحبة ثلاثة أقسام ، محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد ومحبة رحمة وشفقة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس ، فجمع صلى الله عليه وآله وسلم أصناف المحبة فى محبته اهـ وقال الخطابى : لم يرد بالحديث حب الطبع ، بل أراد به حب الاختيار ، لأن حب الإنسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه فمعنى الحديث : لا تصدق فى حبى حتى تفنى فى طاعتى نفسك وتؤثر رضاى على هواك وإن كان فيه هلاكك اهـ . وقال ابن بطال : معنى الحديث : أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبى صلى الله عليه وآله وسلم آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين ، لأن به صلى الله عليه وآله وسلم استنقذنا من النار وهدينا من الضلال اهـ . وقال القاضى عياض فى شرح مسلم : ومن محبته صلى الله عليه وآله وسلم نصرة سنته والذب عن شريعته وتمنى حضور

وآله وسلم لا يُؤْمِنُ عبدٌ حتى أكونَ أَحبَّ إليهِ من ولده ووالدِه والناسِ أجمعين » رواه البخاري ومسلم .

حياته فيبذل نفسه وماله دونه . قال : وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك ، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل . ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن اهـ . وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال : للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : لأنت يا رسول الله أحب إلى من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر : والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلى من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم الآن ياعمر . رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور . وروى ابن اسحق في السيرة والبيهقي في الدلائل أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا خيراً هو بحمد الله كما تحبين فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل . أي صغيرة . وقال علي رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ . قال سهل بن عبد الله التستري : من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال ويرى نفسه في ملكه صلى الله عليه وآله وسلم لايذوق حلاوة سنته ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه الحديث اهـ . وقال القرطبي : كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إيماناً صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة إلا أنهم متفاوتون ، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى ، ومنهم من أخذ بالحظ الأدنى كمن كان مستغرقاً في الشهوات ، محجوبا في الغفلات ، في أكثر الأوقات ، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ، ويبذل

(٣٥) عن أبى هريرة عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قالَ :
والذى نفسُ محمدٍ بيدِهِ لا يَسْمَعُ بى أَحدٌ من هذهِ الأمةِ يهودِىٌّ ولا نَصرانىٌّ ثم يموتُ ولم يُؤْمنْ بالذِى أُرسلتُ بهِ إلا كان من أصحابِ النارِ » رواه مسلم فى صحيحه .

= نفسه فى الأمور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجداناً لا ترددفيه ، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ماذكر لما وقر فى قلوبهم من محبته ، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات انتهى وما أحسن قول ابن أبي المجد :

ألا يا محب المصطفى زد صبابة   وضمخ لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فإنما   علامة حب الله حب حبيبه

والكلام فى محبته صلى الله عليه وآله وسلم بحر واسع نقتصر من جواهره على ما التقطناه ، وما توفيقنا إلا بالله .

(٣٥) قوله : «والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد» الخ معناه واضح وفيه دليل على « أمور . أحدها » جواز القسم على الأمور المهمة لتأكيدها وتثبيتها فى ذهن السامع « ثانيها » أن الإيمان به موقوف على بلوغ الدعوة ، فلو فرض وجود شخص فى بعض المجاهل لم تبلغه دعوة الإسلام يكون معذوراً على الصحيح المقرر فى علم الأصول « ثالثها » نسخ الملل كلها برسالته صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ثابت بالقرآن والسنة المتواترة وإجماع الأمة . فمنكره كافر بلا خلاف « رابعها » أن الإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم شرط أساسى فى النجاة من النار ، فكل من لم يؤمن به دخل النار خالداً فيها أبداً قال تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » وبهذا نطقت السنة المتواترة وانعقد عليه إجماع الأمة ، فلا حظ ليهودى ولا لنصرانى فى دخول الجنة أبداً ، ومن شك فى هذا فليس مسلما وبالله التوفيق .

(٣٦) عن المِقـدامِ بن مَعْدِى كَرِبَ قال: « حرَّمَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وآله وسلم أشياء يَوْمَ خَيبَر من الحمارِ الأهلِى وغيره ثم قالَ صلى الله عليه وآله وسلم يُوشِكُ أن يَقْعُدَ الرجلُ منكم على

---

(٣٦) قوله : «حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلى وغيره» . وروى أحمد عن أبى هريرة « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم حرم يوم خيبر كل ذى ناب من السباع والمجثمة — بضم الميم وفتح الثاء المشددة كل حيوان يمسك ويجعل غرضا للرمى حتى يموت — والحمار الإنسى » ، صححه الترمذى ولأحمد والترمذى بإسناد لابأس به عن جابر قال « حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعنى يوم خيبر لحوم الحمر الإنسية ولحوم البغال وكل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب — بكسر الميم وفتح اللام — من الطير » ، زاد فى حديث العرباض بن سارية عند أحمد بإسناد لابأس به «تحريم الخلسة» وهى بضم الخاء وسكون اللام الفريسة يستنقذها الرجل من الذئب أو السبع فتموت فى يده قبل أن يذكيها ، فبان بهذه الروايات ما أبهمته رواية حديث الترجمة . قوله : «يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته» أى سريره يحدث بالبناء للمجهول أى يحدثه أحد بحديثى فيقول بينى وبينكم كتاب الله الخ هـذا من أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم وظهر مبتدعة ملاحدة ينكرون الحديث النبوى عملا واحتجاجاً ، ويزعمون أن الحجة فى القرآن خاصة ، فإن ذكرت لهم قول الله تعالى . « وما آتاكم الرسول فخذوه » قالوا يعنى فى القرآن لافى غيره ، وهكذا كل آية فيها الأمر بطاعة الرسول يحملونها على طاعته فى القرآن فقط ، ومنهم من يحتج لهذا الرأى الفاسد بحديث : « ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته وما خالفه فلم أقله » وهذا حديث مكذوب . قال الإمام الشافعى : ماروى هذا أحد يثبت حديثه فى شىء صغير ولا كبير وإنما هى رواية منقطعة عن رجل مجهول . وقال يحيى بن معين : هو حديث موضوع وضعته الزنادقة . وقال عبد الرحمن بن مهدى : الزنادقة والخوارج وضعوا حديث

أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثِي فيقولُ : بيني وبينَكُم كِتابُ اللهِ فما وجَدْنا فيه حَلالاً استحلَلْنَاه وما وجَدنا فيه حَراماً حرمناهُ ، وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللهِ مثل ما حرمَ اللهُ» ، رواه أبو داودَ

« ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله » . وقال البيهقى فى المدخل : هذا حديث باطل لايصح وهو ينعكس على نفسه بالبطلان فليس فى القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن . وقال الحافظ ابن عبد البر فى كتاب العلم : هذه الألفاظ لا تصح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه . وعارضه ابن حزم فقال : عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالفه لأنا وجدنا كتاب الله تعالى يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ووجدنا فيه « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ووجدنا فيه « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وقد أوردت طرق هذا الحديث الباطل وبينت عللها فى كتاب « الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج » فى الأصول . وقال الشوكانى فى إرشاد الفحول : اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن فى تحليل الحلال وتحريم الحرام . وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه » أى أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التى لم ينطق بها القرآن ، وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير وغير ذلك مما لم يأت عليه الحصر اهـ . قلت : وقد انعقد إجماع الأئمة والعلماء على العمل بالسنة المطهرة والاحتجاج بها فى أصول الدين وفروعه إلا ما كان من بعض المبتدعة الزنادقة الذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض فإنهم خرجوا عن إجماع المسلمين ولمزوا السنة وناقليها وأعرضوا عنها فتصدى الأئمة للرد عليهم وبيان زيغهم وضلالهم ، فللامام الشافعى فى ذلك كلام طويل جميل ذكره فى الرسالة ونقله البيهقى فى المدخل وعلق عليه بما يؤيده من الأحاديث والآثار فزاده حسناً على حسن . وللامام أحمد بن حنبل كتاب

والحاكمُ والبيهقي باسنادٍ صحيح وفي رواية للبيهقي : ألاَ إني أُوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه ألاَ إني أُوتيتُ الكتابَ ومثله ألاَ يُوشِكُ رجلٌ شبْعانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يقولُ عليكُم بهذا

خاص في الرد عليهم ، وفي كتاب العلم للحافظ ابن عبد البر باب خاص في هذا المعنى ذكر فيه من نصوص الأئمة ما فيه كفاية ، وللحافظ السيوطي رسالة مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة وهي مطبوعة ، ذكر أنه ألفها بسبب رافضي زنديق سمعه يقول : إن السنة لايحتج بها وأن الحجة في القرآن خاصة ، وهي رسالة مفيدة قيمة ، وللقاضي عياض في الشفا فصل حسن في هذا المعنى ، وكذا في المواهب اللدنية وغيرها . والمقصود أن السنة أصل من أصول الدين لايتم الإسلام إلا بالاحتكام إليها والاستسلام لها كما قال تعالى : « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما »[1] وروى

(١) قال الإمام أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن دحيم في تفسيره : حدثنا شعيب بن شعيب حدثنا أبو المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة حدثني أبي عن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى للمحق على المبطل فقال المقضى عليه لا أرضى فقال صاحبه ما تريد قال أن تذهب إلى أبي بكر الصديق فذهبا إليه فقال الذي قضى له قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى لي عليه فقال أبو بكر فأنتما على ما قضى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأبى صاحبه أن يرضى وقال نأتي عمر بن الخطاب فأتياه فقال المقضى له قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى لي عليه فأبى أن يرضى ثم أتينا أبا بكر الصديق فقال أنتما على ما قضى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأبى أن يرضى فسأله عمر فقال كذلك فدخل عمر منزله فخرج والسيف في يده فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله فأنزل الله تبارك وتعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » الآية ، وقال أيضاً : حدثنا الجوزجاني حدثنا أبو الأسود عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ابن الزبير قال : اختصم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلان فقضى لأحدهما فقال : الذي قضى عليه ردنا إلى عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : نعم انطلقوا إلى عمر فانطلقا فلما أتيا عمر قال : الذي قضى له يا ابن الخطاب إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى لي وإن هذا قال : ردنا إلى عمر فردنا إليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر : أكذاك ؟ للذي قضى عليه . قال : نعم فقال عمر : مكانك حتى أخرج فأقضي =

القرآنِ فما وجدتُم فيه مِن حلالٍ فأَحِلُوه وما وجدتُم فيه من حَرامٍ فحرمُوه ألاَ لاَ يَحِلُّ لكم الحِمارُ الأَهْلى ، الحديثَ وفى مسند أبى يعلَى عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه

الإمام الشافعى رضى الله عنه يوماً حديثاً وقال إنه صحيح فقال له قائل : أتقول به يا أبا عبد الله ؟ فاضطرب وقال : يا هذا أرأيتنى نصرانياً ؟ أرأيتنى خارجاً من كنيسة ؟ أرأيت فى وسطى زناراً ؟ أروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً ولا أقول به اهـ وأقوال الأئمة فى هذا كثيرة جداً . قوله : «وإن ماحرم رسول الله مثل ماحرم الله» ، أى فى وجوب الاجتناب كما قال فى الحديث الآخر : «وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه» . قوله : «ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه» ،

= بينكما فخرج مشتملا على سيفه فضرب الذى قال : ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله قتل عمر صاحبى ولولا ما أعجزته لقتلنى فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ما كنت أظن أن عمر يجترىء على قتل مؤمن فأنزل الله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك » الآية ، فبرأ الله عمر من قتله ، ورواه ابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفسيريهما من طريق وهب عن ابن لهيعة عن أبى الأسود قال : اختصم رجلان فذكر القصة وفى آخرها فأهدر دمه ، وروبت من غير هذين الطريقين أيضا وجاء فى بعض الطرق بيان أن الذى قضى له يهودى وأن الذى قضى عليه منافق اسمه بشر ، فإن قيل جاء فى الصحيحين عن عروة بن الزبير عن أبيه أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدراً إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى شراج الحرة كانا يسقيان بها كلاهما فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم للزبير : اسق ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصارى وقال : يا رسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال للزبير : اسق ثم حبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للزبير حقه وكان قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه سعة للأنصارى وله قال الزبير : والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا فى ذلك « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك » الآية ، فهذا الحديث ينافى ما تقدم ، قلنا لا تنافى بينهما لأن الزبير لم يجزم بأن الآية نزلت بسبب هذه الحادثة ، وعلى فرض وجود الجزم بذلك كما جاء صريحا عن سعيد بن المسيب عند ابن أبى حاتم فيجوز تعدد الأسباب لنزول الآية الواحدة ، على أن ابن جرير الطبرى اختار أن تكون الآية نزلت فى المنافق واليهودى ثم تتناول بعمومها قصة الزبير ، قال ابن العربى فى الأحكام : وهو الصحيح اهـ .

وآله وسلم « عسى أن يكذبنى رجل منكم وهو متكئ على أريكته ، يبلغه الحديث عنى فيقول ما قال رسول الله هذا دعْ هذا وهات ما فى القرآن » وللحديث طرق .

(٣٧) عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم

فى رواية أخرى : ومثليه معه بالتثنية ، أى أوتيت مثل القرآن من السنة كما تقدم فى كلام الشوكانى ، وذ ث أن الوحى نوعان متلو وهو القرآن الكريم وغير متلو وهو الحديث الشريف فطاعتهما واجبة على كل مسلم . قوله : « يبلغه الحديث عنى فيقول ما قال رسول الله هذا » الخ فيه دليل على أن نفى ورود الحديث لا يكون عذراً فى ترك العمل به ، بل يعد تكذيباً له إلا إن دلت القواعد الحديثية على عدم صحته ، فحينئذ يكون المرء فى حل من تركه . ومن هنا تعلم ضلال ما عليه مبتدعة اليوم — وفيهم كثير من الأزهريين — من تخلصهم من السنة وفرارهم من العمل بها . وحض غيرهم على إلغائها بقولهم : هذا حديث غير صحيح أو يخالف العقل — أى عقلهم القاصر — أو يخالف العلم الحديث ، أو هذا آحاد والمطلوب التواتر ، أو طرق الحديث مضطربة ، أو هذا من الإسرائيليات ونحو هذا من الأعذار الواهية التى يتخذونها ذريعة إلى رد السنة النبوية ، مع أن أهل الأزهر لا يعرفون الحديث ولا يميزون بين صحيحه وسقيمه ، ولا بين مقبوله ومردوده ، بل هم أبعد الناس عن هذا العلم الشريف وأجهلهم به ، ولو اطلعت على مذكراتهم فى المصطلح والرجال وشرح أحاديث الأحكام لرأيت فيها من فضائح الجهل ما يضحك الثكلى ويسلى الحزين ، ولهذا كثر فيهم من يبغض الحديث الشريف ويناصبه العداء ، ويدعو إلى إهماله وعدم الاهتبال به ، ويصرح بذلك فى غير خجل ولا استحياء . ولا عجب فى ذلك فقديماً قيل : « من جهل شيئاً عاداه » وإنما العجب أن يتعيشوا على حساب الدين ، فى وقت يحاربون فيه سنة صاحب الدين ! ! ! إن هذا لهو منتهى العجب ! ! ! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(٣٧) قوله : « أوتيت مفاتيح كل شئ » أى من العلوم والمعارف وسائر المغيبات .

قال : « أُوتيتُ مَفاتيحَ كلِّ شيءٍ إلا الخمسَ إن اللهَ عِنده علمُ الساعةِ ، الآيةَ » رواه أحمدُ والطبرانى بإسنادٍ صحيحٍ وفى

قال القاضى عياض فى الشفا فى فصل ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون ما نصه : والأحاديث فى هذا الباب بحر لا يدرك قعره ، ولا ينزف غمره ، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب اهـ ثم أورد جملة منها فليراجع . وأخرج الطبرانى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله قد رفع لى الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفى هذه » . وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم بكثير من أحوال هذا العصر ومخترعاته . وسنطبع رسالة لطيفة فى هذا الموضوع بحول الله تعالى . قوله : « إلا الخمس إن الله عنده علم الساعة » الآية . وفى صحيح البخارى عن ابن عمر مرفوعا « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم أحد ما يكون فى غد إلا الله ، ولا يعلم أحد ما يكون فى الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله ، ولا يدرى أحد متى يجىء المطر إلا الله » ومقتضى هذا أنه لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الخمس ، وإليه ذهب الجمهور لكن قال الحافظ السيوطى فى الخصائص الكبرى : ذهب بعضهم إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم أوتى علم الخمس أيضاً وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكتم ذلك اهـ وبه جزم كثير من المتأخرين . وللامام منصور البغدادى فى هذا الموضوع كتاب اسمه « إقامة شواهد المنقول والمعقول على إحاطة علم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الرسول » . وسأل الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الحى الحلبى العلامة المحدث عبد الملك بن محمد التجموعتى قاضى سلجماسة عن هذه المسألة فأجابه برسالة خاصة سماها (ملاك الطلب وجواب أستاذ حلب) جزم فيها بأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم الخمس . وللشيخ أحمد رضا على خان البريلوى الهندى فى هذا الموضوع ثلاث رسائل : (مالىء الجيب بعلوم الغيب) و (اللؤلؤ المكنون فى علم البشير ما كان وما يكون) و (انباء المصطفى بما أسر وأخفى) وقال

الصحيحين عن حُذيفَةَ قال قامَ فينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم مَقاماً ما تَرَكَ فيه شيئاً إلى قيامِ الساعةِ إلاَّ ذكَرَه

العلامة أبو عبد الله محمد الحبيب بن عبد القادر السجلماسى الحسنى فى شرح منظومة الأسماء الحسنى للهلالى : يجب علينا أن نعتقد أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من الدنيا حتى حصل له العلم بجميع المعلومات للحديث الصحيح : أوتيت علم كل شىء وتجلى لى كل شىء . وما ورد مما يخالفه منسوخ بهذا ، وبه تظهر مزيته وفضيلته العلمية على سائر الأنبياء بعد اشتراكهم فى علم الغيب المستثنى لهم فى آية : « فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول » وقال فيها بعض المفسرين : يريد أو ولى ففيه حذف ، لأن الولى وارث لعلم النبوة اهـ وفى شرح أنموذج اللبيب للعلامة شمس الدين محمد بن محمد بن عمر الروضى المالكى ما نصه : الصحيح كما قاله المحققون أنه أوتى علم كل شىء حتى الخمسة وحتى علم الروح وأمر بكتم ذلك اهـ ونحوه فى شرح جوهرة اللقانى لمؤلفها وشرح الأربعين النووية للشبرخيتى وغيرها . وفى فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوى فى الكلام على حديث خمس لا يعلمهن إلا الله الخ ما نصه : خمس لايعلمهن إلا الله على وجه الإحاطة والشمول كلياً وجزئياً فلا ينافيه إطلاع الله بعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من هذه الخمس لأنها جزئيات معدودة وإن كان للمعتزلة فى ذلك مكابرة اهـ . قلت : والذى أرجحه وأميل إليه أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من الدنيا حتى علمه الله هذه الخمس لأنه لم يزل يترقى فى العلوم والمعارف كل يوم بل كل لحظة وعموم الأحاديث يشهد لذلك منها حديث البخارى عن أسماء بنت أبى بكر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ما من شىء لم أكن أريته قبل إلا رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار . وهذه الخطبة كانت بالمدينة . ومنها حديث سمرة قال : كسفت الشمس فصلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : إنى والله لقد رأيت منذ قمت أصلى ما أنتم لاقوه من أمردنيا كم وآخرتكم ، حديث صحيح رواه أحمد وغيره ، ولا ينافيه قوله فى حديث الترجمة إلا الخمس ، لأنه كان قبل أن يعلمها ثم

حفِظَه مَن حفِظَه ونَسِيَه مَن نَسِيَه وإنَّه ليكون منه الشيء قد كُنتُ نَسِيتُه فأرَاه فأذْكُرُهُ كما يذكُر الرجُلُ وجْهَ الرجلِ إذا غَابَ عَنهُ ثُم إذا رآهُ عَرَفَه .

علمها بعد ذلك وهذا كما نهى عن تفضيله على موسى ويونس وإبراهيم عليهم السلام ثم أخبر أنه أفضل الأنبياء ورد على من دعاه سيداً بأن السيد الله ، ثم أخبر أنه سيد ولد آدم وأمره الله تعالى فى القرآن أن يقول للكفار « ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون » ، ثم أخبر بعد ذلك أن الله أطلعه على خصامهم ، ففى حديث ابن عباس ومعاذ وغيرهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « رأيت ربى فى أحسن صورة فقال يا محمد ، قلت : لبيك رب وسعديك ، قال أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت لا أدرى يا رب ، قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها فى صدرى فتجلى لى كل شىء وعرفت » وذكر الحديث وهو فى سنن الترمذى ومسند أحمد وغيرهما بطرق متعددة ، وهو حديث صحيح ، وقد تكلمت عليه فى (قمع الأشرار عن جريمة الانتحار) المطبوع مع (الأربعين الغمارية) وشرحه الحافظ ابن رجب فى جزء مطبوع اسمه (اختيار الأولى فى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى) وهذا الحديث أحد الأدلة على علمه بالخمس أيضاً ، لأن قوله : فتجلى لى كل شىء عام ، بل هو أقوى صيغ العموم كما تقرر فى الأصول . قوله فى حديث حذيفة قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة يعنى من الفتن والحوادث وغيرها إلا ذكره الحديث ، نحوه قول عمر « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه » رواه البخارى معلقاً بصيغة الجزم ووصله الطبرانى . وقال أبو ذر : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومايحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكرنا منه علما ، رواه أحمد والطبرانى بإسناد صحيح ، وكذلك قال أبو الدرداء رواه أبو يعلى والطبرانى وغيرهما ، والله أعلم .

(٣٨) عن ابن عباسٍ قال : « إن أَعْمى كانت له أُمُّ ولدٍ عَلَى عهدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم تُكْثِرُ الوَقيعةَ فِى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وتَشْتُمُه فقتلَها الأَعْمَى فذكر ذلك

---

(٣٨) قوله : إن أعمى كانت له أم ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكثر الوقيعة فيه الخ وفى سنن أبى داود وسنن ابن بطة عن الشعبى عن على عليه السلام أن يهودية كانت تشتم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت فأطال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دمها . وجاء فى رواية أن الرجل كان أعمى . قال ابن تيمية فى كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) وهذا الحديث نص فى جواز قتلها يعنى اليهودية ، لأجل شتم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ودليل على قتل الرجل الذمى وقتل المسلم والمسلمة إذا سبا بطريق الأولى اهـ وقال أبو بكر ابن المنذر : أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقتل . وممن قال ذلك مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحق وهو مذهب الشافعى اهـ وقال القاضى عياض فى (الشفا) : اعلم أن جميع من سب النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو عابه أو ألحق به نقصاً فى نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشىء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه . ولا نستثنى فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمترى فيه تصريحاً كان أو تلويحاً ، وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عبث فى جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عيره بشىء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه ؛ وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة إلى هلم جرا اهـ وقال الإمام محمد بن سحنون : أجمع العلماء أن شاتم النبى صلى الله عليه وآله وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الأمة القتل ، ومن

للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبيُ صلى الله عليه وآله وسلم : «أَشْهدُ أن دمَهَاهَدَرٌ» رواه أبو داودَ والنَسائى والبَيهقى وهذا لفظُه وفى سنن أبى داودَ والبيهقى واللفظُ للأولِ عن

شك فى كفره وعذابه كفر اه . وقال الإمام ابن عتاب : الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأذى أو نقص معرضا أو مصرحا وإن قل فقتله واجب اه وسمع رجل قوماً يتذاكرون صفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته ؟ هى فى صفة هذا المار فى خلقه ولحيته ، فأفتى الإمام ابن أبى زيدالقيروانى بقتله وعدم قبول توبته . وأفتى أبو الحسن القابسى فيمن قال فى النبى صلى الله عليه وآله وسلم : الحمال يتيم أبى طالب ، أنه يقتل ، وفتاوى العلماء ونصوصهم فى هذا كثيرة . قوله : كنت عند أبى بكر فتغيظ على رجل الخ لهذا الأثر طرق عند النسائى وغيره . وروى قاسم بن أصبغ فى مصنفه ومن طريقه ابن حزم عن أبى برزة قال : أغلظ رجل لأبى بكر الصديق قلت : ألا أقتله ؟ فقال أبو بكر : ليس هذا إلا لمن شتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ورويا أيضا عن عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه كان على الكوفة لعمر بن عبد العزيز فكتب إلى عمر : إنى وجدت رجلا بالكوفة يسبك وقامت عليه البينة فهممت بقتله أو قطع يديه أو قطع لسانه أو رجليه ثم بدا لى أن أراجعك فيه ، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز : سلام عليك ، أما بعد والذى نفسى بيده لو قتلته لقتلتك به ، ولو قطعته لقطعتك به ، ولو جلدته لأقدته منك ، فإذا جاءك كتابى هذا فاخرج به إلى الكناسة فسبه كالذى سبنى أو اعف عنه ، فإن ذلك أحب إلى فإنه لايحل قتل امرىء مسلم يسب أحداً من الناس إلا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وروى محمد بن عبد الملك بن أيمن ومن طريقه ابن حزم عن على بن المدينى قال : دخلت على أمير المؤمنين فقال لى : أتعرف حديثاً مسنداً فيمن سب النبى صلى الله عليه وآله فيقتل ؟ قلت نعم فذكرت له حديث عبد الرزاق

أبي بَرْزَةَ قال كنتُ عند أبي بَكرٍ رضى الله عنه فتغيظَ على رَجلٍ فاشتَدَ عليه فقلتُ ائذن لى يا خليفَة رسولِ اللهِ أضرِبْ عُنقَه قال : فأذهبتْ كلمتى غضبَه فقامَ فدخَل فأرسل إلىَّ فقال

عن معمر عن سماك بن الفضل عن عروة بن محمد عن رجل من بلقين قال : كان رجل يشتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من يكفيني عدواً لى ؟ فقال خالد بن الوليد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقتله . فقال أمير المؤمنين : ليس هذا مسنداً ، هو عن رجل ، فقلت يا أمير المؤمنين بهذا يعرف هذا الرجل وهو اسمه وقد أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبايعه وهو مشهور معروف قال فأمر لى بألف دينار وقال ابن حزم هذا حديث مسند صحيح وقد رواه على بن المديني عن عبد الرزاق كما ذكره ، ثم قال ابن حزم بعد ذكر ماتقدم من الآثار مانصه : فصح بما ذكرناه أن كل من سب الله تعالى أو استهزأ به أو سب ملكا من الملائكة أو استهزأ به أو سب نبياً من الأنبياء أو استهزأ به أو سب آية من آيات الله تعالى أو استهزأ بها — والشرائع كلها والقرآن من آيات الله تعالى — فهو بذلك كافر مرتد له حكم المرتد وبهذا نقول اهـ قلت : يدخل في هذا ما بلغني عن بعض السبكيين ممن انضم أخيراً إلى القصيمى — قصمه الله — أنه قال في مجلس يضم كثيراً من الناس : إن القرآن ناقص لأنه لم يشر إلى المخترعات الحديثة وأنه كان الواجب أن يقول : وإن لكم فى الأورنيوم لعبرة بدل قوله : « وإن لكم في الأنعام لعبرة » مثلا ، وهذا كما ترى كفر صريح يوجب قتل صاحبه والعياذ بالله تعالى . ﴿ تنبيه ﴾ كثيراً ما يحصل بين الناس أن يذكر أحدهم نبياً من الأنبياء أو ملكا من الملائكة على سبيل ضرب المثل كأن يقول : إن قيل فى السوء فقد قيل فى النبي ، أو إن كذبت فقد كذب الأنبياء أو صبرت كصبر أيوب أو لا أفعل كذا ولو نزل على جبريل أو أنا أسلم من ألسنة الناس ،ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله أو كل الناس أذنبوا حتى الأنبياء ، ونحو هذا مما يدور بين الناس فى محاوراتهم ومخاصماتهم . قال القاضى

(٦ — الأحاديث)

ما الذِي قلتَ آنفاً قلتُ ائْذَن لِي أَضْرِبْ عُنقَه قالَ أَكُنتَ فاعِلاً لو أمرتُكَ ؟ قلتُ نَعَم قال : لاَ واللهِ ما كَانتْ لِبشَرٍ بعدَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم صححه الحاكمُ وابنُ تيمية.

عياض فى الشفا بعد أن ذكر كثيراً من الأمثلة من هذا القبيل مانصه : فحق هذا — إن دريء عنه القتل — الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبيح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره أو قرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه ، ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به اهـ ثم نقل فتاوى عمر بن عبد العزيز ومالك وسحنون وغيرهم فليراجع كلامه فإنه أجاد فيه غاية الإجادة . وللحافظ السيوطى رسالة (تنزيه الأنبياء ، عن تشبيه الأغبياء) ألفها بسبب حادثة وقعت من القبيل المذكور ، وهى مطبوعة فى كتابه الحاوى للفتاوى . ومن قلة الأدب مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما سمعته من عالم أزهرى — وهو فى الواقع جاهل — سمعته يقول فى مجلس خليط إن محمدا أخطأ وسجل الله عليه الخطأ فى القرآن أعادها مرتين أو ثلاثاً ، فأخذت بعض الحاضرين حماسة الإيمان ورد عليه بأن هـذا لايليق وأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يخطىء ، فأصر على مقالته وأعادها وقال انه يأسف على تصريحه هذا ، ولكن دعاه إليه التعليم . قلت : ما كان أحوجه أن يأسف على قلة أدبه وكثرة جهله وفرط حقده وتعصبه . ومقام النبوة أعلى وأجل عن مثل هذا التعبير الشنيع . قال ابن السبكى فى جمع الجوامع : والصواب أن اجتهاده صلى الله عليه وآله وسلم لايخطىء . قال شارحه الجلال المحلى : تنزيها لمنصب النبوة عن الخطأ فى الاجتهاد . وقيل قد يخطىء ولكن ينبه عليه سريعاً لما تقدم فى الآيتين « ما كان لنبى أن يكون له أسرى . عفا الله عنك لم أذنت لهم » ولبشاعة هذا القول عبر المصنف بالصواب اهـ أى ليفيد أن مقابله غير صواب كما قال العلامة العطار فى حاشيته على جمع الجوامع والله أعلم .

(٣٩) عن أبي هريرة أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قال : هل ترون قِبْلَتِي هَهُنَا فواللهِ مايَخْفَى عليَّ رُكُوعُكُم ولاسُجودُكم إنى لأراكم مِن ورَاءِ ظَهْرِي » رواه البخارى ومسلمٌ ولِمسلمٍ

---

(٣٩) قوله : هل ترون قبلتى ههنا الخ . فى رواية لأبى هريرة فى الصحيح أيضاً قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما ثم انصرف فقال : يا فلان ألا تحسن صلاتك ألا ينظر المصلى إذا صلى كيف يصلى فإنما يصلى لنفسه إنى والله لأبصر من ورائى كما أبصر من بين يدى ، وفى حديث أنس فى الصحيح أيضاً : أقيموا الركوع والسجود فوالله إنى لأراكم من بعدى أو من ظهرى إذا ركعتم وإذا سجدتم . قال العلماء فى معنى هذه الأحاديث : إن الله تعالى خلق له صلى الله عليه وآله وسلم إدراكا فى قفاه يبصر به من ورائه وقد انخرقت العادة له صلى الله عليه وآله وسلم بأكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به ونقل القاضى عياض عن الإمام أحمد ابن حنبل وجمهور العلماء أن هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة اهـ من شرح النووى على مسلم ، ولم يثبت فى شيء من الأحاديث أن هذه الرؤية كانت بعينين صغيرتين بين كتفيه كسم الخياط لا تحجبهما الثياب كما ذكره الزاهدى مختار محب بن محمود شارح القدورى فى رسالته الناصرية ومثل هذا لا يقبل فيه إلا ما صح نقله والأقعد فى إثبات كونه معجزة كما قال القسطلانى : حملها على الإدراك بغير آلة كما تقدم وأما ما أورده ابن الجوزى فى بعض كتبه بغير إسناد أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنى لا أعلم ما خلف جدارى هذا فلا أصل له كما نقل الحافظ السخاوى عن شيخه الحافظ ابن حجر ، ويؤخذ من روايات حديث الترجمة : الأمر بإحسان الصلاة والخشوع فيها وإتمام الركوع والسجود وجواز الحلف بالله لغير ضرورة لكن المستحب تركه إلا لحاجة كتأكيد أمر أو تفخيمه أو تمكينه من النفوس كما هنا فإنه لما كانت الرؤية من الخلف أمراً خارقا للعادة أكدها باليمين ، وجاء فى إحدى روايات أنس فى الصحيح : أيها الناس إنى أمامكم فلا تسبقونى بالركوع

عن أنس أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وآله وسلم قالَ : أيها الناسُ إِنِي إِمامُكُمْ فَلاَ تَسبِقُونى بالركوعِ ولا بِالسُّجودِ فإِنِي أَراكُم مِن أَمامِي ومِن خَلْفِي، وللحديث طرقٌ .

ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فإنى أراكم أمامى ومن خلفى ، فيؤخذ من هذه الرواية تحريم سبق الإمام بهذه الأشياء ، فمن فعل ذلك أثم وصحت صلاته عند الجمهور ، وعن ابن عمر تبطل صلاته وهو مذهب الظاهرية ورواية عن الإمام أحمد لأن النهى يقتضى الفساد «تنبيه» روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى فى النهار فى الضوء . وروى البيهقى وابن عدى عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى فى الظلماء كما يرى فى الضوء ، فهذه معجزة أخرى تتعلق ببصره الشريف وتضعيف ابن دحية لهذين الحديثين لا يضر لأنهما مؤيدان بما ورد فى معناهما مما هو خارق للعادة ، فقد تواتر رؤيته للملائكة والشياطين وصح رفع بيت المقدس حتى صار ينظر إليه وهو يخبر عنه صبيحة ليلة الإسراء ورؤيته الجنة والنار وهو فى الصلاة إلى غير ذلك ، وأيضاً فإن شقيقنا الحافظ أبا الفيض أخبرنا قال أخبرنا أبو البركات عوض بن محمد المقرى أنا اسماعيل بن زين العابدين البرزنجى أنا[1] صالح بن محمد العمرى أنا محمد بن سنه أنا الشريف الوولاتى أنا الشهاب أحمد المقرى أنا عمى مفتى تلمسان سعيد بن أحمد المقرى أنا أبو عبد الله محمد بن محمد التنسى التلمسانى أنا والدى محمد بن عبد الله التنسى أنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن مرزوق الحفيد عن أبيه عن جده الخطيب قال : أنا أبو المجد أحمد بن أبى عبد الله محمد بن القاضى أبى الفضل عياض عن أبيه عن جده الحافظ أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه حدثنا أبو الحسن المقرىء الفرغانى حدثتنا =

---

(١) أنا مختصرة من أخبرنا . وثنا أو : نا مختصرة من حدثنا فليعلم ذلك .

(٤٠) عن جَابر قال : أَتَى عمر رضى اللهُ عنه النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فقالَ : إنا نَسمَعُ أحادِيثَ مِن يهود تُعجِبُنَا أَفترى أَن نكتُبَ بعضَهَا ؟ فقالَ : « أَمُتَهَوِّكُون أنتُم كما تهوكَتِ اليَهودُ والنصارَى لقد جِئتُكُم بها بيضاءَ نَقيةً ولو كان مُوسى حيًا

= أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها حدثنا الشريف أبو الحسن على بن محمد الحسنى حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : لما تجلى الله عز وجل لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ، قال القاضي عياض : ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بما ذكرناه من هذا الباب — يعنى رؤيته في الظلماء وغير ذلك — بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى اهـ وهذا الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير .

(٤٠) قوله : أمتهوكون أنتم أي متحيرون كما قال الحسن : والتهوك التحير قوله : كما تهوكت اليهود والنصارى ، وذلك لأن كتبهم دخلها التحريف بالزيادة والنقصان فتحيروا في دينهم واختلفوا فيه لكن ديننا محفوظ كما قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ولفظ الذكر في الآية الشريفة يشمل القرآن والحديث كما بينه الحافظ المجتهد أبو محمد ابن حزم في كتاب الأحكام قوله : لقد جئتكم بها أي الشريعة بيضاء نقية كنى ببياضها ونقائها عن يسرها وسماحة تعاليمها وما اشتملت عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب قوله : ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى لأن الله تعالى أخذ عليه وعلى جميع الأنبياء عهداً أن يؤمنوا به وينصروه قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » الآية فهو صلى الله عليه وآله وسلم نبي الأنبياء وخاتمهم . والقاديانية — لعنهم الله — يروون هذا الحديث بلفظ : لو كان موسى وعيسى حيين ماوسعهما إلا اتباعى ليستدلوا على أن =

ما وَسِعَهُ إلاّ اتباعِى » رواه أحمد باسنادٍ حسنٍ وابنُ حِبَّانَ باسنادٍ صحيح ، ورواه أحمد عن ابن عباسٍ باسناد حسن أيضاً وله مع هذا طرق .

عيسى مات وأنه لا ينزل ، والحديث باللفظ المذكور باطل لا أصل له بل هو من جملة أكاذيبهم الكثيرة أخزاهم الله ، وللطبرى فى التفسير وأبى داود فى المراسيل من طريق يحيي بن جعدة أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتِف قد كتبوا فيها بعض ما تقول اليهود فلما نظر إليها ألقاها وقال : كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء بهم غير نبيهم فنزلت : « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » الآية ، والحديث يقتضى النهى عن الأخذ من كتب الإسرائيليات وذلك فيما يتعلق بالأمور الدينية من أصول وفروع أما ما يتعلق بالمواعظ والآداب وأخبار الأوائل فلا بأس بذلك ما لم يخالف ما ثبت بدليل صحيح وقد كان جماعة من الصحابة يحدثون عن أهل الكتاب كعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وأبى هريرة[(١)] وكان عمر يقول لكعب الأحبار : خوفنا يا كعب وكذلك كان عبد الله بن الزبير يسمع من كعب أيضاً ويحدث عنه أما تحديث التابعين عن أهل الكتاب فكثير ، وحصل بين الحافظ السخاوى والبرهان البقاعى نزاع فى جواز النقل من كتب الأناجيل ونحوها وألف كل منهما فى ذلك بحسب رأيه ، وأشار السخاوى إلى شيء من ذلك فى كتاب الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التوريخ[(٢)] وهو مطبوع والله أعلم

(١) بل قال ابراهيم بن أبى يحيي أنا معاذ بن عبد الرحمن عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه أنه جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إنى قرأت القرآن والتوراة فقال : اقرأ هذا ليلة وهذا ليلة ، قال الذهبى فى تذكرة الحفاظ : هذا إن صح ففيه الرخصة فى تكرير التوراة وتدبرها اهـ قلت : ابراهيم بن أبى يحيي ضعيف جداً كذبه جماعة من الحفاظ وكان معتزليا جهمياً قدريا وقد أطال الذهبى فى ترجمته فى الميزان ، وهو مع ضعفه حافظ كبير وله موطأ أكبر من موطأ مالك بكثير وقد روى عنه الشافعى ووثقه وقال الربيع : إذا قال الشافعى : حدثنى من لا أتهم أراد ابراهيم بن أبى يحيي .

(٢) وذكر فيه أنه ألف كتابا سماه « الأصل الأصيل فى تحريم النقل من التوراة والإنجيل » لكن لم يشر إلى ما حصل بينه وبين البقاعى .

(٤١) عن أبي هُريْرة قال : « قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم ليَهْبِطنَّ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عادِلاً وإماماً مُقْسِطاً وليسلُكَنَّ

(٤١) قوله : ليهبطن ابن مريم أى من السماء على منارة بيضاء شرقى دمشق بين ملكين فيفك حصار الدجال عن فلسطين ويقتله ويلقى الله الرعب فى قلوب اليهود من المسلمين فيقتلونهم ويكون عيسى إذ ذاك حكما عادلا وإماما مقسطا يحكم بالشريعة الإسلامية ويحيي ما اندرس منها ويقاتل اليهود والنصارى على الإسلام ولا يقبل الجزية ويكون حكمه بالكتاب والسنة ولا يقلد أحداً من المذاهب خلافا لما زعمه بعض متهوسى الحنفية أنه يكون على مذهبهم بل المذاهب فى وقته تبطل قوله : وليسلكن فجا بفتح الفاء طريقا واسعا أواسم موضع فى طريق مكة حاجا أو معتمراً وليأتين قبرى حتى يسلم على تحقيقا لتبعيته لى واتبـاعه لشريعتى ولأردن عليه السلام واللام فى ليهبطن وليسلكن وليأتين ولأردن تدل على قسم مقدر أى والله ليهبطن والله ليسلكن والله ليأتين والله لأردن ، فهذه الأفعال مؤكدة بشيئين القسم فى أولها ونون التوكيد المشددة فى آخرها وذلك غاية ما يطلب فى التوكيد كما لا يخفى ، ويؤخذ من الحديث أمور «الأول» : فضيلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكون عيسى عليه الصلاة والسلام وهو رسول كريم من أولى العزم ينزل تابعا له وملتزما لشريعته ، قال العلماء والحكمة فى تخصيص نزوله الرد على اليهود حيث زعموا أنهم قتلوه وصلبوه ، وكذبوا فى زعمهم ذلك ، «الثانى» : إثبات نزول عيسى عليه السلام وهذا أمر تواترت به الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما نص عليه الحفاظ منهم ابن جرير الطبرى وأبو الحسين الآبرى والقرطبي وابن كثير وابن حجر العسقلانى وغيرهم ، [1] وجهل

(١) وبيان ذلك أنه رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو هريرة وحذيفة بن أسيد والنواس بن سمعان وعبد الله بن عمرو وجابر ومجمع بن جارية وعثمان بن أبى العاص وواثلة ابن الأسقع وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وعائشة وأنس وغيرهم من الصحابة ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين تابعيا منهم سعيد بن المسيب وسعيد بن ميناء وعطاء بن ميناء وجبير ابن نفير ويعقوب بن عاصم وأبو الزبير وأبو نضرة ومؤثر بن عفازة وربعى بن حراش والحسن البصرى وطاوس وعلقمة وأبوقلابة وأبو صالح ، ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين =

فَحَجًّا حاجًا أَو مُعتمِراً وليأْتِينَّ قَبرِى حتى يُسَلِّمَ علىَّ ولأَرُدَّنَّ

الشيخ محمد عبده هذا لـكونه لا يعرف السنة فادعى أن حديث نزول عيسى آحاد وأنكره بناء على ذلك حسبما نقله عنه تلميذه فى تفسير المنار ، وقلده مبتدعة الأزهر ومن على شاكلتهم مثل المراغى وشلتوت وعبد الوهاب النجار وقد ألفت كتابا سميته (إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان) فضحت به جهل شلتوت فى فتوى له نشرها بمجلة الرسالة الملحدة وافق فيها القاديانيين الـكفار فلما رآه ولج فى العناد أردفته بكتاب آخر سميته (إرغام المبتدع الجهول باتباع سنة الرسول) ، «الثالث» : استحباب إتيان قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لزيارته والسلام عليه وهذا مما لا خلاف فيه قال القاضى عياض : وزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها اه بل ذهب بعض المالـكية وبعض الظاهرية إلى أنها واجبة كما حكاه الشوكانى فى نيل الأوطار ، والذى صرح بالوجوب من المالـكية أبو عمران الفاسى قال الحافظ عبد الحق الإشبيلى المالـكى فى كتاب تهذيب الطالب : يريد أنها واجبة وجوب السنن المؤكدة اه وقالت الحنفية : إنها قريبة من الواجبات حكاه الشوكانى أيضاً وحكى ابن هبيرة اتفاق

= أيضا منهم الزهرى وقتادة والمقبرى وهشام بن عروة وسليم بن حيان وفرات القزاز وعلى ابن زيد وابن جريج وأبو حازم الأشجعى وأيوب السختيانى وسعيد بن خثيم ، ورواه عن هؤلاء نحو خمسة وثلاثين شخصاً منهم سفيان بن عيينة والليث إمام أهل مصر والأوزاعى إمام أهل الشام وأبو داود الطيالسى صاحب المسند وشعبة أمير المؤمنين فى الحديث ومعمر صاحب الجامع ويحيى بن جابر الطائى قاضى حمص وعاصم أحد أئمة القراء وأبو جعفر المنصور أمير المؤمنين ، ورواه عن هؤلاء خلق كثير يبلغون نحو أربعين منهم عبد الرزاق صاحب المصنف وعلى بن المدينى الإمام العلم شيخ البخارى وقتيبة بن سعيد وروح ويزيد بن هارون وبشر بن معاذ ومعاذ العنبرى وغندر وحجاج بن الشاعر ومحمد بن بشار وهؤلاء كلهم أئمة مشاهير ، ثم رواه عن هؤلاء وغيرهم أصحاب الـكتب المعتبرة فى الحديث ودونوه فى كتبهم مثل أحمد والبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقى والدارقطنى والطبرانى والطحاوى وغيرهم ممن لا يكادون يحصون ، فهذا تواتر على جميع الاصطلاحات المقررة فى علم الأصول ، ولـكن أنى لمحمد عبده ومقلديه أن يعرفوا هذا وهم أبعد الناس عن علم السنة وأنواعها وليتهم إذ جهلوا سكتوا فقد كان السكوت أستر لحالهم لـكن قاتل الله حب الظهور فإنه قاصم للظهور كما قال الصوفية .

عَلَيهِ » يقول أبو هريرة : أَىْ بَنِى أَخِى إن رأيتُمُوه فقُولُوا

الأئمة على استحبابها وشد بلال المؤذن الرحلة من الشام إلى المدينة بقصد الزيارة كما رواه ابن عساكر بأسناد جيد وإن حاول ابن عبد الهادى تضعيفه تعصباً لرأى ابن يتمية الذى خالف الإجماع بأنكاره مشروعية الزيارة الشريفة وزعم أن السفر إليها معصية لا تقصر فيه الصلاة ورد عليه العلماء قوله هذا وبدعوه وأفرد التقى السبكى فى الرد عليه كتابا خاصاً سماه (شفاء السقام بزيارة خير الأنام) وهو مطبوع ، وليس لابن تيمية حجة فيما زعم إلا حديث الصحيحين « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » لكن القصر فى الحديث إضافى باعتبار المساجد لا حقيقى بدليل ما ثبت بإسناد حسن كما قال الحافظ : « لا ينبغى للمطى أن تشد رحالها إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » (١) فالزيارة وغيرها خارجة عن النهى كما ترى والأحاديث يفسر بعضها بعضاً والجمع بينها واجب وإلغاء أحدها بغير دليل حرام كما نبهنا عليه فيما مر ، وانظر الشفا للقاضى عياض

---

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند عن شهر بن حوشب قال : سمعت أبا سعيد الخدرى — وذكر عنده صلاة فى الطور — فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ينبغى للمطى » الخ وحسنه الحافظ الهيثمى أيضا فى كتاب مجمع الزوائد . وهو كما ترى صريح فى أن النهى عن شد الرحال للمساجد لأجل الصلاة لا لأجل شىء آخر لأن المساجد متماثلة لا فضل فيها لمسجد على آخر إلا المساجد الثلاثة ، ويؤيده ما رواه أحمد أيضا بأسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ الهيثمى عن عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال : لقى أبو بصرة الغفارى أبا هريرة — وهو آت من الطور — فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من الطور صليت فيه قال : لو أدركتك قبل أن ترتحل ما ارتحلت إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » وروى الطبرانى عن الأرقم — وكان بدريا — قال : جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأودعه وأردت الخروج إلى بيت المقدس فقال لى : « أين تريد ؟ » قلت : أريد بيت المقدس قال : « وما يخرجك إليه ؟ أفى تجارة ؟ » قلت : لا ولكنى أصلى فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « صلاة ههنا — يعنى فى مكة — خير من ألف صلاة ثم » قال الحافظ الهيثمى : رجاله ثقات . ورواه أحمد أيضا بأسناد فيه يحيى بن عمران قال أبو حاتم : مجهول ، ووثقه ابن حبان وهذا الحديث يفيد أن السفر لغرض غير الصلاة كالتجارة غير محظور .

أبو هُرَيرَةَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ؛ رواه الحاكم وصححه وسلمه الذهبي.

وشروحها والمواهب اللدنية وشرحها ونيل الأوطار للشوكاني وغيرها «تنبيه» قال العلامة ابن الحاج في المدخل: من لم يقدر له زيارته صلى الله عليه وآله وسلم بجسمه فلينوها كل وقت بقلبه وليحضر قلبه أنه حاضر بين يديه مستشفع به إلى من من به عليه اهـ وهذه زيارة روحية حضورية لا ينالها إلا من له مزيد تعلق واختصاص بالجناب النبوي الشريف، حققنا الله بهذا المقام بمنه وفضله، «الرابع»: أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره الشريف وقدمنا أن هذا ثابت بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع وقطعنا على الوهابية طريق الزيغ والابتداع، فإن قيل: قد قال الله تعالى خطابا لنبيه «إنك ميت وإنهم ميتون» وقال: «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون» قلنا: وقد قال تعالى: «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون»، وقال: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون» الآية، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع الله له بين درجتي النبوة والشهادة فإنه مات شهيداً من أثر أكلة خيبر كما جاء في الصحيح، وأما حديث أبي هريرة: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام» رواه أحمد وأبو داود فهو — مع كونه ليس في قوة الأحاديث الدالة على حياة الأنبياء — مجاب عنه بثلاثة عشر جوابا سردها الحافظ السيوطي في كتاب (إنباء الأذكياء بحياة الانبياء) وهو مطبوع ضمن كتاب (الحاوي للفتاوى)، بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الحديث يدل على دوام حياته بطريق بليغ كما بينته في كتاب (الرد المحكم المتين) مع ذكر بعض الأجوبة للبيهقي والسبكي فليراجع «الخامس» يؤخذ من قول أبي هريرة إن رأيتموه الخ ما كان عليه الصحابة من قوة الإيمان وشدة التصديق بما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولهم في هذا الباب آثار وأحوال تزيد في إيمان سامعها وتقوي يقينه وبذلك فازوا وربحوا وحازوا العز والتمكين في الدنيا مع ما ادخر لهم من عظيم المثوبة في الآخرة رضي الله عنهم وأرضاهم وحشرنا في زمرتهم تحت لواء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، والحمد لله رب العالمين.

(٤٢) عن أبي هُريرة قال : «كان النبي صلى الله عليه وآله وسلمَ أَحسَنَ الناسِ كانَ رَبْعَةً وهو إلى الطولِ أَقْربُ بَعيدُ ما بيْنَ المَنكِبيْنِ أَسيلُ الخدينْ شديدُ سَوادِ الشعرِ اكْحلُ العينين أهدَبُ إذا وَطِئ بقَدمِه وَطِئ بِكُلِّها ليسَ لَه أَخْمصُ .

---

(٤٢) قوله : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس أي خلقا بفتح الخاء وخلقا بضمها وفي حديث البراء في صحيح البخاري كان أحسن الناس وجها وأحسنه خلقا أي بفتح الخاء وقيل بضمها قوله : كان ربعة اتفقت الروايات على ذلك في الصحيحين وغيرهما والربعة بفتح الراء وسكون الموحدة الوسط بين الطول والقصر كذلك جاء مفسراً في حديث أنس والبراء وغيرهما قوله وهو إلى الطول أقرب أي يقرب من الطول قليلا لكن ليس بالطويل البائن كما سيأتي قوله بعيد ما بين المنكبين أي عريض أعلى الظهر زاد في حديث لأبي هريرة أيضاً عند ابن سعد : رحب الصدر أي واسعه ، قوله : أسيل الخدين بفتح الهمزة وكسر السين أي لين الخدين مع طول فيهما قوله : أهدب أي طويل الأشفار قوله : إذا وطىء بقدمه وطىء بكلها ليس له أخمص ، الأخمص ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض والمعنى أن في قدمه الشريفة خمصا يسيراً بحيث لم يرتفع عن الأرض جدا ولم يستو أسفل القدم ، وهذا أحسن ما يكون كما قال ابن الأعرابي وبهذا يجمع بين روايات من أثبت الأخمص ومن نفاها فمن أثبت أراد الخموصة اليسيرة المعتدلة ومن نفى أراد الخموصة الشديدة قوله : إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة ، وفي حديث محرش الكعبي قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة رواه أحمد والبيهقي وفي حديث أبي هريرة عند الترمذي والبيهقي : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة ، ومعنى هذه الروايات ظاهر قوله : وإذا ضحك يتلألأ في الجدر : أي يظهر من أثر ضحكه إشراق ينعكس على الحيطان كما ينعكس نور الشمس في المرآة ، ومن هذا الحديث أخذ شقيقنا الحافظ أبو الفيض اسم

إذا وَضَعَ رِداءَه عن مَنكِبَيْه فكأنَّه سَبيكَةُ فِضَّةٍ وإذا ضَحِكَ يَتلألأُ في الجُدُرِ لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه » رواه البزَّار والبيهقي ولابن سعدٍ وأحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة قال

كتابه (بوارق الأنوار المنيفة بظهور النواجذ الشريفة) ، جمع فيه الأحاديث التي ورد فيها أنه صلى الله عليه وآله وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وهو مطبوع وفي صحيح البخاري عن كعب بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه ، وفيه أيضاً عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها مسروراً تبرق أسارير وجهه ، ووقع في حديث جبير بن مطعم عند الطبراني التفت إلينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوجهه مثل شقة القمر قوله : لم أر قبله ولا بعده مثله ، إذ ليس في الناس من يماثله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كما قال الإمام البوصيري :

منزه عن شريك في محاسنه   فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقال آخر :

وأجمل منك لم تر قط عيني   وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء

قوله : رواه البزار والبيهقي ورواه أيضا الذهلي في الزهريات ويعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه وغيرها وإسناد الحديث حسن والله تعالى أعلم . قوله : في الرواية الثانية : كأن الشمس تجري في وجهه . قال الطيبي : شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وآله وسلم وفيه عكس التشبيه للمبالغة . قال : ويحتمل أن يكون من باب تناهي التشبيه جعل وجهه مقراً ومكاناً للشمس وفي تاريخ يعقوب بن سفيان من طريق يونس بن أبي يعفور عن أبي إسحق السبيعي عن امرأة من همدان قالت : حججت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت لها شبهيه ؟ قالت : كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله . وروى الدارمي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي عن أبي عبيدة ، قال : قلت للربيع

ما رأيتُ شيئاً أحسَنَ مِن رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم كأنَّ الشمسَ تَجْرِى فِى وَجْهِهِ وما رأيتُ أَحَدًا أَسرَعَ فى مَشْيِهِ منه كأنَّ الأَرضَ تُطْوَى له إنا لَنَجْهَدُ وإنه غيرُ مُكْتَرِثٍ.

(٤٣) عن عُمَرَ بن عبدِ اللهِ مولَى غُفْرَةَ قال: « حدثَنِى إبراهيمُ بنُ

— بضم الراء وكسر الياء المشددة — بنت معوذ — بضم الميم وكسر الواو المشددة — صِفِى لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: لو رأيته لرأيت الشمس طالعة. وسئل البراء بن عازب أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر، رواه البخارى. وفى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة أن رجلا قال له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل السيف؟ — أى فى الطول واللمعان — قال: لا بل مثل الشمس والقمر مستديراً، ولا تنافى بين هذا وبين الرواية السابقة: أسيل الخدين، لأن المراد بها طول خفيف لايمنع الاستدارة. قوله: كأن الأرض تطوى له الخ هذا بيان لسرعة مشيه. ولابن سعد عن أبى هريرة قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جنازة فكنت إذا مشيت سبقنى، فالتفت إلى رجل جنبى فقلت تطوى له الأرض وخليل الله إبراهيم، وسرعة المشى تدل على شدة الحزم وقوة العزم بخلاف المشى الضعيف فإنه يدل على التخاذل وخور العزيمة. وقولهم: سرعة المشى تذهب بهاء المرء ليس بحديث والله أعلم.

(٤٣) قوله غفرة بضم الغين المعجمة وسكون الفاء، ويقال غفيرة بالتصغير وهى بنت رباح وأخت بلال المؤذن وأخيه خالد. قال البخارى: هم أخوان وأخت ومولاها عمر بن عبد الله مدنى، يكنى أبا حفص، روى له أبو داود والترمذى، وفيه ضعف، وشيخه ابراهيم بن محمد بن الحنفية ثقة من رجال الترمذى وابن ماجه لكن روايته عن جده على عليه السلام مرسلة فيما ذكر أبو زرعة الرازى، وهذا لا يضر هنا، لأن وصف على للنبى صلى الله عليه وآله وسلم تلقاه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية عن أبيهم عليهم السلام ولقنوه لأولادهم وأهل بيتهم،

محمدٍ من ولدِ على بن أبِي طالبٍ قال: كان علىٌّ عليه السلام إذا وصَفَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قالَ: لَمَ يكُن

فهو من أقوى الموصولات كما لايخفى على أن معناه وارد فى عدة أحاديث. قوله: الممغط بضم الميم الأولى وفتح الميم الثانية المشددة وكسر الغين المخففة اسم فاعل هو المتناهى الطول، فهو بمعنى البائن فى الرواية الأخرى وهو الذى فارق غيره فى الطول وظهر عليه. وقيل الممغط بفتح الميم الثانية وتخفيفها وتشديد الغين المعجمة المفتوحة اسم مفعول من التمغيط وأصله من مغط الحبل إذا مده. والمقصود أنه لم يكن بالطويل البائن الطول ولا بالقصير المتردد بكسر الدال الأولى المشددة، أى المتناهى فى القصر، كأنه رد بعض خلقه على بعض وتداخلت أجزاؤه، قاله ابن الأثير. وكان ربعة من القوم تقدم شرحه. وروى ابن أبى خيثمة والبيهقى عن عائشة قالت: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد. وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الربعة. قوله: لم يكن بالجعد القطط بفتح القاف وكسر الطاء الأولى وقد تفتح، ولا بالسبط بفتح أوله وكسر الموحدة والجعودة فى الشعر ألا يتكسر ولا يسترسل، والقطط شدة الجعودة والسبوطة فى الشعر ضد الجعودة، وهو الامتداد الذى ليس فيه تعقد ولا نتوء. والمراد أن شعره صلى الله عليه وآله وسلم وسط بين الجعودة والسبوطة، ولهذا قال: كان جعداً رجلا بفتح الراء وكسر الجيم وقد تسكن وتفتح، يعنى ليس شديد الجعودة ولا سبطا فهو وسط بينهما، ولم يكن بالمطهم بفتح الهاء المشددة هو البادن الكثير اللحم المنتفخ الوجه من السمن، ولا بالمكلثم بضم الميم الأولى وفتح الكاف والثاء المثلثة بينهما لام ساكنة، أى المدور الوجه، ولذا قال: وكان فى وجهه تدوير: فهذه الجملة بيان لقوله ولا بالمكلثم. والمعنى أن وجهه الشريف كان وسطا بين التدوير والإسالة. ويعبر عن ذلك بالسهولة، وهذا أحسن عند

رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بالطويلِ الممَّغطِ ولا بالقصير المتردِّدِ وكانَ رَبْعةً مِن القومِ . لم يكن بالجَعْدِ القَطِطِ ولا بالسَّبطِ

العرب وأحلى . قوله : أبيض بالرفع خبر مبتدأ محذوف ، أي هو أبيض مشرب بضم الميم وسكون الشين وفتح الراء المخففة أو بفتح الشين وتشديد الراء المفتوحة روايتان معناها واحد أي مخلوط بحمرة كما جاء في حديث علي أيضا عند سعيد ابن منصور والطيالسي والحاكم . قال : « كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبيض مشربا بياضه بحمرة » . وفي حديث أنس عند البخاري : « أزهر اللون ليس بأبيض أمهق » أي شديد البياض ، لأنه مذموم عند العرب . فمن أثبت البياض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد به المشوب بالحمرة وهو اللون الأزهر الممدوح وربما سموه أسمر كما قال أنس : « كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسمر » رواه أحمد والبزار وابن منده بإسناد صحيح وصححه ابن حبان . ومن نفى البياض أراد البياض الشديد الذي يسمى مهقاً وصاحبه أمهق وهو مذموم ، وبهذا تتفق الروايات . قوله : أدعج العينين ، أي شديد سواد الحدقة مع سعة العين كما في الصحاح . قوله : أهدب الأشفار جمع شفر بضم الشين وقد تفتح وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر ، والأهدب بالدال المهملة من طال شعر أجفانه . والمعنى ظاهر . وروى ابن سعد والحرث بن أبي أسامة عن ابن عباس وغيره أن الصبيان كانوا يصبحون شعثاً رمصاً ويصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — وهو صبي — دهيناً كحيلا . قوله : جليل أي عظيم المشاش بضم الميم وتخفيف الشين المعجمة رؤوس العظام كالمرفقين والركبتين . والكتد بفتح الكاف والتاء وقد تكسر مجتمع الكتفين . والمعنى أنه عظيم رؤوس العظام ، عظيم مجتمع الكتفين ، وذلك يدل على القوة والشجاعة . قوله : أجرد أي غير أشعر أي لم يكن على جسمه شعر كثير ، فهو ذو مسربة بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء وهو شعر دقيق بين الصدر والسرة . وفي رواية البيهقي : « له شعرات من سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا بطنه غيرها » . وروى الطيالسي والطبراني عن أم هانئ : « مارأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ذكرت

كانَ جَعداً رَجِلا . ولم يكُن بالمُطَهَّمِ ولا بالمُكَلْثَمِ . وكانَ فى وجهِهِ تَدويرٌ . أبيضُ مُشْرَبٌ أدعَجُ العينين ، أهدَبُ

القراطيس المثنى بعضها على بعض ، شثن بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة ، وقد يقال شتن بالتاء المثناة يعنى غليظ الكفين والقدمين من غير قصر ولاخشونة لما ورد أنه كان سائل الأطراف لين الكف . قال المناوى : ولما فسر الأصمعى الشثن فى الحديث بالغلظ مع الخشونة أورد عليه أنه ورد فى صفته أنه لين الكف فحلف ألا يفسر شيئا فى الحديث اهـ وتفسير الحديث لا يكفى فيه معرفة اللغة ، بل لابد من جمع الطرق والروايات وغير ذلك مما هو مبسوط فى موضعه . قوله : إذا مشى تقلع ، يعنى مشى بقوة ورفع برجليه رفعاً بائناً متداركا إحداهما بالأخرى كأنه يمشى مشى القلعة بالتحريك وهى القطعة العظيمة من السحاب . وقوله : كأنما ينحط فى صبب بيان لقوله تقلع ، والصبب بفتح الصاد والباء الأولى الحدور ضد الصعود ، والمعنى ظاهر . قوله : وإذا التفت التفت معاً أى جميعاً أى إذا التفت إلى إنسان لكلام أوغيره التفت إليه بكله وأقبل عليه بكليته ولا يلتفت إليه بلى العنق كفعل المختالين المتكبرين . قوله : بين كتفيه خاتم النبوة ، خاتم بكسر التاء أشهر وأفصح من فتحها . والمراد به أثر بين كتفيه نعت به فى الكتب السابقة ، وكان علامة عندهم على أنه النبى الموعود حتى لا يشتبهوا فى أمره . واختلفت الروايات فى وصف هذا الخاتم قدراً وشكلا ولوناً واستوعبها الحافظ قطب الدين الحلبى فى شرح السيرة وتبعه العلامة مغلطاى فى (الزهر الباسم) ونحن نشير إليها بحول الله ، ففى الصحيحين عن السائب بن يزيد قال : قمت خلف ظهر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة ، وفى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده . وفى رواية الترمذى : غدة حمراء مثل بيضة الحمامة . وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال : نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال الثآليل ، النغض بضم النون وسكون الغين المعجمة فرع الكتف والجمع بضم الجيم وسكون الميم الكف إذا

الأشفارِ . جَلِيلُ المشَاشِ والكَتِدِ . أجْردُ ذُو مَسْرُبَةٍ . شَثْنُ

جمع ، والخيلان الشامات السود ، والثآليل حبوب تعلو ظاهر الجسد ولأحمد والبيهقى عن أبى رمثة . قال : انطلقت مع أبى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فنظرت إلى مثل السلعة بين كتفيه . وفى رواية لابن سعد : مثل التفاحة . وللبخارى فى التاريخ عن أبى سعيد قال : « الختم الذى بين كتفى النبى صلى الله عليه وآله وسلم لحمة ناتئة » وفى رواية الترمذى : « كان فى ظهره بضعة ناشزة » . وفى رواية أحمد : « لحم ناشز بين كتفيه » . وفى حديث ابن عمر عند ابن حبان « مثل البندقة من اللحم » . وفى حديث أبى زيد بن أخطب عند الطبرانى : « محجمة ناتئة » . قال العلماء : اختلفت أقوال الرواة فى خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف حقيقة ، بل كل واحد شبه بما عرض له . قال القرطبى : فى شرح مسلم : اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر ، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة ، وإذا كبر جمع اليد . قال السهيلى : والصحيح أنه كان عند نغض كتفه الأيسر لأنه معصوم من وسوسة الشيطان ، وذلك الموضع منه دخوله اهـ وقد روى ابن عبد البر بسند قوى كما قال الحافظ عن ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان فرأى الشيطان فى صورة ضفدع عند نغض كتفه الأيسر حذاء قلبه له خرطوم كالبعوضة ، وله شاهد مرفوع من حديث أنس : « ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم » الحديث رواه أبو يعلى وغيره . والصحيح أن الخاتم كان عند شق صدره الشريف كما قال عياض ولم يولد به كما قيل والله أعلم . قوله : وهو خاتم النبيين جملة متممة لما قبلها ، فهو خاتم نبوة الأنبياء لانبى بعده . قال المناوى وابن سلطان وغيرهما من شراح الشمائل : لاينافى هذا نزول عيسى عليه السلام لأنه إنما ينزل متابعاً لشريعته مستمداً من القرآن والسنة اهـ . قوله : أجود الناس صدراً أى أرحبهم صدراً وأكرمهم قلباً فلا يمل من الناس ولايضجر منهم على اختلاف طبائعهم وأمزجتهم ، بل يخاطب كلا منهم على قدر منزلته ، ويبذل لهم ما يسألونه من رفد وعطاء ، ويعلمهم مما علمه الله مبتدئاً تارة ومجيباً أخرى ،

الـكفَينِ والقدمَيْنِ . إذا مشَى تقلَّعَ كأَنما ينحط فِي صَبَبٍ

وتقدم شيء من جوده وسعة صدره فى شرح الحديث الثلاثين . قوله : وأصدق الناس لهجة . عرف بهذا منذ طفولته حتى كان يدعى بين قومه بالأمين ، فهو صلى الله عليه وسلم أصدق الناس لساناً وأفصحهم بيانا . قوله : وألينهم عريكة أى أسهلهم طبيعة لوفور حلمه وكثرة تواضعه وخفض جناحه للفقير والمسكين وفرط شفقته على اليتيم والمحروم . قوله : وأكرمهم عشرة بكسر العين وسكون الشين اسم من المعاشرة وهى المصاحبة فمصاحبته صلى الله عليه وآله وسلم أكرم مصاحبة ، لأنه أشد الناس وفاء وأكثرهم عن الزلات إغضاء ، يرعى حقوق المعاشرة ، ويراعى روابط المودة ، يكون مع أصحابه كأحدهم لا يتميز عنهم بشيء ، ولا يشق عليهم فى شيء . وفى رواية : وأكرمهم عشيرة أى قبيلة ، وهى صحيحة أيضا ، فإن قبيلته أكرم القبائل ، ونسبه أشرف الأنساب كما تقدم فى شرح الحديث الرابع والسابع . قوله : من رآه رؤية بديهة فجأة من غير سابق مخالطة ومعرفة هابه لما عليه من المهابة الإلهية ، لأن قلبه الشريف ممتلىء بعظمة مولاه ومحبته وإجلاله ، وذلك يورث المهابة المذكورة ، ومن خالطه وعاشره معرفة أى مخالطة معرفة أحبه حباً شديداً حتى يقدمه على أهله ونفسه ، ويبذل كل شيء فى سبيل طاعته ورضاه ، كما كان الصحابة يفعلون فإنهم كانوا يبذلون أنفسهم دونه ويعادون — بل يقاتلون — آباءهم وأبناءهم وعشيرتهم ، دفاعاً عنه ، وحفظا لحرمته ، فمدحهم الله على ذلك ووصفهم بالإيمان . يقول ناعته أى واصفه إذا أراد الإجمال فى نعته ، لأن التفصيل غير متيسر لم أر قبله ولا بعده مثله ، لأنه جمع بين حسن الجمال ، ووقار الجلال ، وبلغ الغاية فى خصال الكمال ، فهو كما قال البوصيرى رحمه الله :

منزه عن شريك فى محاسنه   فجوهر الحسن فيه غير منقسم

قال الحافظ أبو نعيم : قد اختلفت ألفاظ الصحابة فى نعته وصفاته ، وذلك لما ركب فى الصدور من جلالته وحلاوته ، وعظيم مهابته وطلاوته ، ولما جعل فى جسده الشريف من النور الذى يتلألأ ويغلب على بشرته ، فأعياهم ضبط صفته ونعت حليته حتى قال بعضهم : كان مثل الشمس طالعة . وقال بعضهم : كان يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر . وقال بعضهم : لم أر قبله ولا بعده مثله ، فلذلك السبب كان اختلافهم فى وصف خلقته اهـ

وإذا التفتَ التفتَ معاً . بيْنَ كَتِفَيْه خاتَمُ النبُوةِ وهُو خاتَمُ

وإلى هنا تم هذا الشرح المبارك إن شاء الله تعالى . وقد رأينا أن نختمه بحديث جامع فى صفاته وشمائله صلى الله عليه وآله وسلم فنقول : أنبأنا سعيد بن أحمد الفراء الدمشق ، أنا علاء الدين بن محمد بن عمر الحسينى ، أنا أبى ، أنا محمد بن عبد الرحمن الكزبرى ، أنا أبى أنا أبو المواهب الحنبلى ، أنا أبى أنا الشمس محمد بن عبد الله الأنصارى ، أنا محمد بن خليل اليشبكى ، أنا أبو الفضل الحافظ ، أنا أبو إسحق التنوخى . أنا محمد بن جابر بن محمد الوادآشى أخبرنا أبو المواهب ربيع بن أبى عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع ، أنا الحسن بن على الغافقى (ح) وقال التنوخى أنا يحيى بن محمد بن سعد كتابة ، أنا أبو جعفر أحمد بن على بن حكم (ح) وأنبأنا محمد بن إبراهيم السقا ، أنا أبى أنا ثعيلب ، أنا الشهاب الملوى ، أنا عبد الله بن سالم البصرى ، أنا محمد البابلى ، أنا سالم بن محمد ، أنا النجم الغيطى أنا القاضى زكريا الأنصارى ، أنا الشمس محمد بن على القاياتى ، أنا السراج عمر بن على بن الملقن الأنصارى ، أخبرنا أبو الفتوح يوسف بن محمد الدلاصى ، أنا التقى أبو الحسن يحيى بن أحمد بن محمد بن تامتيت اللواتى . أنا أبو الحسن يحيى بن محمد بن على الأنصارى المعروف بابن الصائغ . قال هو والغافقى وأبو جعفر بن حكم أخبرنا عياض بن موسى الحافظ قال حدثنا القاضى أبو على الحسين بن محمد الحافظ بقراءتى عليه حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمى فيما قرأت عليه أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابورى والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدى والقاضى أبو على الحسن بن على بن جعفر الوخشى قالوا حدثنا أبو القاسم على بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعى . أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى ، أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جميع — بالتصغير — بن عمر بن عبد الرحمن العجلى إملاء من كتابه قال حدثنى رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبى هالة عن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سألت خالى هند بن أبى هالة (ح)

النبيينَ . أجْوَدُ الناسِ صدراً . وأصدَقُ الناسِ لَهجَةً . وأَلينُهُم

قال القاضى أبو على : وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد ابن خداداذ الكرجى الباقلانى ، وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد ابن الحسن بن خيرون قالا حدثنا أبو على الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن ابن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسى قراءة عليه فأقر به . أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحي بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المعروف بابن أخى طاهر العلوى . قال حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب قال حدثنى على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين قال قال الحسن بن على — واللفظ لهذا السند — : سألت خالى هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان وصافاً وأنا أرجو أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأقصر من المشذب ، عظيم الهامة ، رجل الشعر ، إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا ، يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب سوابغ من غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، ويحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية ، أدعج ، سهل الخدين ، ضليع الفم . أشنب ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة ، معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر . مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين . ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط عارى الثديين ما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف أو قال سائن الأطراف وسائر الأطراف سبط العصب خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء . إذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية . إذا مشى

عَرِيكَةً . وأَكْرَمُهُم عِشْرَةً . مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هابَه . ومن

كأنما ينحط من صبب . وإذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، قلت : صف لى منطقه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم فى غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافى ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم شيئاً . لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشىء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها . إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه ، جل ضحكه التبسم ، ويفتر عن مثل حب الغمام ، قال الحسن : فكتمتها عن الحسين بن على زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقنى إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئاً قال الحسين : سألت أبى عن دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : كان دخوله لنفسه مأذونا له فى ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئاً فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمته على قدر فضلهم فى الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذى ينبغى لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى حاجته فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة . لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره ، قال فى حديث سفيان بن وكيع : يدخلون رواداً ولا يتفرقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعنى فقهاء قلت : فأخبرنى عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا

خَالَطَهُ مَعرِفَةً أحبَّهُ . يقول نَاعِتُه : لَمْ أَرَ قبلَه ولا بَعدَهُ مِثلَه »

يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر غير مختلف . لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة ، فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر . ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها . وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك ، ويعطى كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفى الرواية الأخرى صاروا عنده فى الحق سواء . مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته — وهذه الكلمة من غير الروايتين — يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب ، فسألته عن سيرته صلى الله عليه وآله وسلم فى جلسائه فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح . يتغافل عما لا يشتهى . ولا يؤيس منه . قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته . ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه . إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث . من تكلم من عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها

رواه الترمذى فى السنن والشمائل وغيره والله أعلم .

تم بحمـــد الله

فأرفدوه ولا يطلب الثناء إلى من مكافىء ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام — هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الآخر — قلت : كيف كان سكوته صلى الله عليه وآله وسلم قال : كان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فأما تقديره ففى تسوية النظر والاستماع بين الناس وأما تفكره ففيما يبقى ولا يفنى ، وجمع له الحلم فى الصبر فكان لا يغضبه شىء يستفزه وجمع له فى الحذر أربع أخذه بالحسن ليقتدى به . وتركه القبيح لينتهى عنه . واجتهاد الرأى بما أصلح أمته . والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة هكذا رويناه فى الشفا من طريق الترمذى فى الشمائل والحافظ أبى على ابن شاذان المتوفى ببغداد سنة ٤٢٦ ﻫ وأخرجه أيضاً ابن سعد فى الطبقات والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم والبيهقى كلاهما فى الدلائل ، ومعانيه واردة فى جملة أحاديث فى الصحاح والسنن وغيرها وشرحه مستوفى فى شروح الشمائل وشروح الشفا وغيرها والحمد لله رب العالمين . وصلاته وسلامه على سيدنا محمد سيد المرسلين . وخاتم النبيين . وعلى آله الطاهرين . وخيار صحابته من الأنصار والمهاجرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؟

تم بحمد الله وتوفيقه

المعارف الذوقية فى الوظيفة الصديقية

لمؤلف الكتاب

اللَّهُمّ صلِّ وسلِّم بِفَيْضِ جُودِكَ الواسِعِ المَمْدُودِ . عَلَى قُطْبِ الوجُودِ ، وَعَيْنِ أعْيَانِ دَائِرَةِ الشُّهودِ ، المُتوَّج بتَاجِ إنَّا أرْسَلْناكَ شَاهِداً ومُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِياً إلَى اللهِ بإذْنِه وَسِرَاجاً مُنِيرًا ، مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الأَسْرَارُ المُودَعَةُ فى نورِ رُوحانِيتِهِ المَوْصُوفَةِ بكُنتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ ، وَانْفَلَقَتِ الأَنْوَارُ المُشِعَّةُ مِنْ ذَاتِه عَلَى عَالِمِ الكَوْنِ تَهْدِيهِ إِلَى الأَبَدِ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ . وَفِيهِ ارْتَقَتِ الحَقَائِقُ المُمْكِنَةُ الكامِنَةُ فِى عَالَمِ الثُّبُوتِ ، لأَنَّهُ الإِنْسَانُ الكامِلُ الصِّفَاتِ والنُّعُوتِ ، وَتَنزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ بتَجَلِّى وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ، فَأَعْجَزَ الخَلاَئِقَ بُلُوغُ مَدَاهُ . كَيْفَ وَلِوَاءُ الحَمْدِ بِيَدِهِ تَحْتَهُ آدَمُ وَمَنْ عَدَاهُ ، وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الفُهُومُ ، فِى سَائِرِ العُلُومِ ، بِإِفَاضَةِ رَأَيْتُ رَبِّى فِى أَحْسَنِ صُورَةٍ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفِى . حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا فِى نَحْرِى . فَتَجَلَّى لِى كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ . فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ بِاجْتِهَادِ الأَعْمَالِ ،

وَلا لاَحِقٌ أَدْرَكَهُ فَيْضُ النَّوَالِ . فَرِيَاضُ المَلَكُوتِ بِزَهْرِ جَمَالِهِ السَّارِى فِى عَالَمِ الوُجُودِ مُونِقَةٌ ، وَحِيَاضُ الجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ المُتَلأْلِئَةِ فِى عَالَمِ الشُّهُودِ مُتَدَفِّقَةٌ ، وَلاَ شَىْءَ إلاَّ وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ ، فِى كُلِّ عُرُوجٍ وَهُبُوطٍ ، إِذْ لَوْلاَ الوَاسِطَةُ فِى وُصُولِ الإِمْدَادِ وَحُصُولِ الإِسْعَادِ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ المَوْسُوطُ ، بِدَلِيلِ إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِى . وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ . وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيمًا . صَلاَةً كَامِلَةً تَلِيقُ بِكَ مِنْ حَيْثُ أُلُوهِيَّتُكَ . صَادِرَةً مِنْكَ مِنْ حَيْثُ رُبُوبِيَّتُكَ . تُرْجَى إِلَيْهِ تَكْرِيماً لِقَدْرِهِ العَظِيمِ . مَصْحُوباً بِخِلْعَةِ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ؛ وَسَلاَماً تاماً يَتَنَزَّلُ فِى مَعَارِجِ القُدْسِ ، عَلَى بِسَاطِ الأُنْسِ ، يَلِيقُ بِهِ كَما هُوَ أَهْلُهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الجَامِعُ لِجَمِيعِ الكَمَالاَتِ الإِنْسَانِيَّةِ ، المُزَكَّى مِنْ حَضْرَتِكَ العَلِيَّةِ . بِصِفَةِ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، الدَّالُّ بِجَمِيعِ الحَالاَتِ عَلَيْكَ . المُؤَيَّدُ مِنْكَ بِشَهَادَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ . مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ . قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ . وَحِجَابُكَ

الأعْظَمُ الْقَائِمُ لَكَ بِتَمَامِ الْعُبُودِيَّةِ . شُكْراً عَلَى مَا أَوْلَيْتَهُ مِنْ رَفِيعِ الرُّتْبَةِ وَعَظِيمِ الْمَنْزِلَةِ . إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً . الخاضِعُ بَيْنَ يَدَيْكَ لِمَقَامِ الرُّبُوبِيَّةِ . الّذِي شَرَّفْتَهُ فِي مَقَامِ الْقُرْبِ بِشَرَفِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَاأَوْحَى اللَّهُمَّ أَلحِقْنِي فِي البَاطِنِ وَنَفْسِ الأَمْرِ بِنَسَبِهِ الجِسْمَانِي . إِلْحَاقاً يَجْبُرُ مَا نَقَصَ مِنْ رَوَاتِبِ الأَعْمَالِ . وَيَصِلُ ما انْقَطَعَ مِنْ وَارِدَاتِ الأَحْوَالِ . حَتَّى أَسْعَدَ بالانْدِرَاجِ فِي عُمُومِ قَضِيَّةِ كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . إِلاَّ سَبَبِي وَنَسَبِي وَحَقِّقْنِي فِي نَفْسِي وَحَالِي وَوِجْدَانِي . بِحَسَبِهِ الرُّوحَانِي . تَحْقِيقًا يَقْطَعُ مِنِّي حَظَ الشَّيْطَانِ . وَيُدْخِلُنِي فِي زُمْرَةِ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَان . وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ مَعْرِفَةً كَاشِفَةً لِفَضَائِلِهِ وَفَوَاضِلِهِ . أَسْلَمُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الجَهْلِ بِكَ وَبِهِ . فِي مَخَارِجِ الأَمْرِ وَمَدَاخِلِهِ . وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الفَضْلِ الوَاصِلِ مِنْكَ إِلَيْهِ وَأَنْهَلُ مِنْ عَيْنِ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ . إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً مُهْدَاةً . وَاحْمِلْنِي فِي سَيْرِي إِلَيْكَ عَلَى سَبِيلِهِ الوَاضِحَةِ المسَالِكِ .

لاَ يَزِيغُ عَنْهَا إلاَّ هالِكٌ . قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي . إِلَى حَضْرَتِكَ الْقُدُوسِيَّةِ الَّتِي إِلَيْهَا يَنْتَهِي سَيْرُ الْوَاصِلِينَ وَعِنْدَهَا تَقِفُ مَطَايَا السَّالِكِينَ . وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى . حَمْلاً مَحْفُوفاً بِنُصْرَتِكَ الرَّبَّانِيَّةِ . حتى أَنْجُوَ مِنْ غَوَائِلِ الطَّرِيقِ وَمُضِلاَّتِ الْهَوَى . وَأَسْتَمْسِكَ بِعُدَّةِ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى . وَاقْذِفْ بِي عَلَى جَيْشِ الْبَاطِلِ فَأَدْمَغَهُ بِصَوْلَةِ الْحَقِّ ، وَأُدْحِضَهُ بِقُوَّةِ الصِّدْقِ . فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ . وَزُجَّ بِي فِي بِحَارِ الأَحَدِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِجَمِيعِ هَيَاكِلِ الْحَقَائِقِ وَالْمَعَانِي الْمُنَزَّهَةِ عَنِ الْكَثْرَةِ وَالْقِلَّةِ وَالْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ وَالتَّبَاعُدِ وَالتَّدَانِي . أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ . وَانْشُلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ الْمُوقِعَةِ فِي ظُلُمَاتِ الشُّبَهِ وَالتَّرْدِيدِ إِلَى فَضَاءِ تَنْزِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ . وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ الشُّهُودِيَّةِ . مَعَ الْقِيَامِ بِأَدَاءِ حُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ . قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ . مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ . وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ . حَتَّى لاَ أَرَى وَلاَ أَسْمَعَ وَلاَ أَجِدَ وَلاَ أُحِسَّ إِلاَّ بِهَا . تَحَقُّقاً

وَتَعَلُّقًا بِإِتْحَافِ عِنَايَةٍ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ . وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ . وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا . وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا . وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ مِنْ حَيْثُ الْإِفَاضَةُ وَالتَّلْقِينُ حَيَاةَ رُوحِي . وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا . وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ . وَرُوحَهُ مِنْ حَيْثُ التَّوَصُّلُ وَالتَّمَكِينُ سِرَّ حَقِيقَتِي حَتَّى أَتَذَوَّقَ سِرَّ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً . وَحَقِيقَتَهُ مِنْ حَيْثُ الْهِدَايَةُ وَالْيَقِينُ . جَامِعَ عَوَالِمِي الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ . فِي جَمِيعِ أَطْوَارِهَا الْجَلِيَّةِ وَالْخَفِيَّةِ . لِأَتَحَقَّقَ بِالْوِرَاثَةِ النَّبَوِيَّةِ . وَالْخِلَافَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ . وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ : صِرَاطِ اللهِ . وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ . بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ الْأَوَّلِ فِي التَّعَيُّنِ الْأَوَّلِ . بِإِشَارَةِ كُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ خَلْقًا . وَآخِرَهُمْ بَعْثًا . وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا . مَعَ بِشَارَةِ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ . ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ . وَلَتَنْصُرُنَّهُ . يَا أَوَّلُ لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ . يَا آخِرُ تَقَدَّسَ عَنْ لُحُوقِ الْفَنَاءِ . يَا ظَاهِرُ لَا يَلْحَقُهُ خَفَاءٌ يَا بَاطِنُ تَرَدَّى بِرِدَاءِ الْعَظَمَةِ

وَالْكِبْرِيَاءِ . اسْمَعْ نِدَائِى مَعَ ظُهُورِ فَقْرِى إِلَيْكَ والْتِجَائِى . بِمَا سَمِعْتَ بِهِ نِدَاءَ عَبْدِكَ زَكَرِيَّا . وَاجْعَلْنِى صَادِقَ الْقَوْلِ وَفِيًّا . وارْزُقْنِى قَلْباً تَقِيًّا مِنَ الشِّرْكِ نَقِيًّا . لاَ جَافِيًا وَلاَ شَقِيًّا . وانْصُرْنِى بِكَ لَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ . وَأَيِّدْنِى بِكَ لَكَ تَأْيِيداً مُظَفَّرًا حَتى أَكُونَ فِى جَمَاعَةِ أُولَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ، واجْمَعْ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بِقَطْعِ العَلاَئِقِ النَّفْسَانِيَّةِ . وَمَنْعِ القَوَاطِعِ الشَّهْوَانِيَّةِ . حَتى أُشَرَّفَ بِخِطَابِ يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِى إِلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً وحُلْ بَيْنِى وَبَيْنَ غَيْرِكَ . حتى لاَ أُشَاهِدَ فِى الكَوْنِ إِلاَّ أَثَرَ إِحْسَانِكَ وَبِرِّكَ وَمَا بِكُم مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ . اللهْ . اللهْ . اللهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، اللهُ وِتْرٌ صَمَدٌ ، اللهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ . اللهُ قَوِىٌّ قَادِرٌ . اللهُ عَزِيزٌ قَاهِرٌ . اللهُ عَلِيمٌ غَافِرٌ . إِنَّ الذِى فَرَضَ عَلَيكَ القُرْآنَ . وأَوْجَبَ عَلَيْكَ البَيَانَ . لَرَادُّكَ إِلى مَعَادٍ . يَوْمَ تَحِقُّ لكَ السِّيَادَةُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ . وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً . رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ، وَاغْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً عَامَّةً

تجلو عن القلب كل صدا ؛ ورقنا في معارج مدارج إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وخاتم النبيين . وإمام المتقين . وقائد الغر المحجلين . وشفيع المذنبين . اللهم اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك . على سيدنا محمد رسول الخير وإمام الهدى . ونبي التوبة . وعين الرحمة . اللهم اجعل أفضل صلواتك وأزكاها . وأجل تسليماتك وأنماها على من أرسلته رحمة عامة وبعثته نعمة مهداة . سيدنا محمد الذي شرحت صدره . ورفعت ذكره . وقرنت اسمه باسمك . وجعلت طاعته من طاعتك . وخلعت عليه من وصفك ونعتك . اللهم ارزقنا تمام محبته واتباع سنته . والتأدب بآداب شريعته . والتمسك بأذيال آله وعترته . واحشرنا في زمرته . واجعلنا في الرعيل الأول من أهل شفاعته . اللهم إنا نتوسل به إليك . ونستشفع به لديك أن تقبل أعمالنا . وأن تحسن أحوالنا . وتنير بالمعارف قلوبنا . وتفرج من كدورات الأغيار كروبنا . ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن

مِنَ الخاسِرِينَ . رَبَّنَا آتِنا فِي الدُّنْيَا حَسَنة وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذَابَ النَّارِ . رَبَّنَا إننا سَمِعْنا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أنْ آمِنُوا بِرَبِّكُم فآمنَّا . رَبَّنَا فاغْفِرْ لنا ذُنوبنا وكَفِّرْ عنّا سَيِّئَاتِنا وتَوَفَّنا مَعَ الأَبْرارِ . رَبَّنَا وَآتِنَا ما وَعَدْتنا عَلى رُسُلِكَ . وَلاَ تُخْزِنا يَوْمَ القِيامَةِ . إنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ . قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الملكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ . وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخيرُ إنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ وتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ . وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ : شَهِدَ اللهُ أنَّهُ لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ والمَلاَئِكَةُ . وأُولُوا العِلْمِ قائِمًا بالْقِسْطِ لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ . العَزِيزُ الْحَكِيمُ . شَهِدْنا بذَلِكَ وأقْرَرْنا بِهِ . فاكْتُبِ اللَّهمَّ شَهادَتَنا عِنْدَكَ . وأَعْظِمْ جَزاءَنا عَلَيْها . وَأَكْرِمْ نُزُلَنَا بِهَا وَاجْعَلْهَا حُجَّتَنا لَدَيْكَ يَوْمَ لِقائِكَ . وَنَجِّنَا بِهَا مِنْ سُوءِ عَذَابِكَ . يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النبيَّ والذين آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبِأَيْمَانِهِمْ . يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا واغْفِرْ لَنَا إنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . اللهُ لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ

إلاَّ بإذْنهِ يعلَمُ مَا بيْنَ أَيْديهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحيطُونَ بشَيْءٍ مِنْ
علْمِهِ إلاَّ بمَا شَاءَ وَسعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يؤُدُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ . هُوَ اللهُ الذِي لا إلَهَ إلا هُو عَالِمُ الغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ . هُو اللهُ الذِي لا إلَهَ إلاَّ هُوَ المَلِكُ
القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ . سُبْحَانَ
اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْماءُ
الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ .
بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أحَدٌ (ثلاث مرات) ثم المعوذتين ثم
بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ
يَوْمِ الدِّينِ إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ .
صِرَاطَ الَّذِينَ أنْعَمْتَ عَلَيهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ آمين
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وسَلاَمٌ على المُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ
للهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذا نسب الإمام أبى عبد الله محمد بن الصديق الغمارى الحسنى رضى الله عنه .
نظمه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ ابراهيم بن عبد الباعث بن أحمد بن غنيم ، شيخ الطريقة الشاذلية بالإسكندرية . حفظه الله ونفع به .

١ لكَ الحمدُ يا مَنْ قَدْ تفَضَّلتَ مِنَّةً
علينا بِمَنْ قَدْ عرفُونا طَرِيقَنَا

٢ ونسألك اللّهُمّ إتْحافَ أحمدٍ
نبِيّ الورى خَيْرَ الصلاةِ تحَنُّنا

٣ وخَيْرَ سلامٍ شاملٍ لصَحابةٍ
وآلٍ وَأَتْباعٍ ومَن جَدَّ وَاعتَنَى

٤ وبعدُ فَإنّا نَستَحِي قَرْعَ بابِكُم
لِكَثْرَةِ أوزارٍ جَنَتْها أكُفُّنا

٥ لذاكَ أتَيْنا بالكِرامِ ليشْفَعوا
انا عِنْدَكُمْ كَيْما تُحقِقَ سُؤْلَنَا

٦ فنسألُكَ اللّهُمّ فَيْضًا بسَيِّدى
محمّدْ أبى عَبْدِ الإِلَهِ إمامِنا

٧ ووالدِه الصِّدِّيق مَن حَجّ وَاعْتَمَرْ
كوالدِه أَحْمَدْ شِهابٍ لِدِينِنــــــا

٨ أَيِ ابْنِ محمدْ ذِي المَعالى ابنِ قاسمٍ
أَتَى مِن محمدْ كاسْمِ جَدٍّ(١) لَهُ الثَّنا

٩ ووالِدِهِ المِفضالِ عَبْــدِ لمؤْمِنِ
كَذاكَ أبوه ذَا محمـــدُ قُطْبُنا

١٠ ومُعْقِبُه نَعنى بِهِ عبدَ مُومِنٍ
شَهيرَ أبي قَبْرَيْنِ وابنَ عَلِيِّنَــا

١١ أيِ ابنِ الحَسَنْ حقا ونجل محمدٍ(٢)
أَبُوهُ بِعبدِ اللهِ سُمِّيّ تَيَمُّنـــــا

١٢ ونَعْنى به إِبْنــاً لأحمدَ ذِى العُلاَ
وذاكَ ابنُ عبدِ اللهِ طوبى له الْهَنا

١٣ ووالدُ عيسى هُوَ ابْنُ سَعيــدِهِمْ
وَذَا نَجْلُ مَسعودٍ أيِ ابْنِ فُضَيْلِنَا

(١) أى أن جد قاسم اسمه محمد . إذ هو قاسم بن محمد بن محمد بن عبد المؤمن .
(٢) أى الحسن بن محمد بن عبد الله .

١٤ وذا ابنُ عَلِيّ واسمُ والدِه عُمرْ

مِنَ العَرَبِى قَدْ جَاءَ بالحَقِّ مُعْلِنًا

١٥ أَىِ ابنٍ لعَلاَّلِ بْنِ موسَى بْنِ أَحْمَدٍ

وَذَا ابنٌ لِداودَ بنِ قُطْبِ زَمانِنا

١٦ ونَمْنى به إِدْرِيسَ نجلاً لِفَاتِحٍ

لمغربِ إدريسَ المرَجَّى لِخَطْبِنا

١٧ وهذا ابنُ عبدِ اللهِ والوالِدُ الحسَنْ

وقَدْ شَهَرُوه بالمثَنَّى ابْنُ فَخرِنَا

١٨ أَىِ الحسنِ المفضالِ نَجلِ عَلِيِّنَا

أَىِ ابْنِ أَبِى طالبْ وذو العِلْمِ بَيْنَنَا

١٩ إِلهى بِهِمْ هَبْنا اتّباعَ طريقهم

وحُبالَهُمْ كَيما نَفوزَ بأَسْرِنَا(١)

---

(١) أى جميعنا .

وهذه سلسلة الطريقة الصديقية . من نظم الأستاذ المشار إليه
أسبغ الله نعمه عليه

١ إلهى بفخرِ الأنبيـــاء محمدٍ
كذاكَ عليٌّ ذا ابْنُ عمِّ نبيِّنا

٢ وبالحسَنِ المفضَالِ ذلكَ نجْلُهُ
بإبنٍ لعبــدِ اللهِ جابرٍ كسرِنا(١)

٣ كذلك بالغزْوانِى أعْنِى سعيــدَهم
بفتْحِ السُّعودِ افتَحْ علينا تحنُّنــا

٤ كذا سيدى سعْدٌ وأيضاً سعِيدُهم
بأهلِ الــكُنَى منهم فحقِّقْ رجاءَنا

٥ وهمْ جابرٌ فتحُ السُّعودِ سعيــدُهُمْ
كبعضهمُ باسْمِ النبي لهُمْ كُنَى

٦ كذا بأبِى القاسِمْ وذلك أحمــدٌ
ويُعْرف بالمرْوانِى(٢) فلتُرو قلْبَنـا

(١) يعنى به جابر بن عبد الله هو وأبوه صحابيان .
(٢) بدون مد للوزن .

٧ كذا بأبى إسحاقَ ذا البَصرى[1] فاهْدِنا
كذلك بالقَزْوينى زَيْنٌ لدِينِنا

٨ وأيضاً بِشَمْسِ الدينِ ذا التركى سَيدى
محمدِ تاجِ الدينِ نصراً لِدِينِنا

٩ وَنَوِّرْ بنُور الدينِ قلبى وَنَجِّنا
إلهى بفَخرِ الدِينِ مما يَعُوقُنا

١٠ كذا بُتقىِّ الدِينِ أعنى فُقَيْرَهم
إلهىَ بالتصغيرِ صَغِّر نفُوسَنَا

١١ وبالمدَنِى الزياتِ شُهرةً اسمُهُ
عبَيْدٌ لرحمنٍ أَنِلنا مُرادَنَا

١٢ بعَبدِ السلامِ القُطْبِ ذى المجدِ والعُلاَ
أى ابنِ مَشيشٍ صِينَ حقا مِنَ الخَنا

١٣ وبالشاذِلِى أَعنى الإمامَ أبا الحسَنْ
كذَا بأبى العباسِ ذا المُرسِى[2] فاهدِنا

(١) ذا : أى هذا والبصرى بدون مد للوزن ومثله القزوينى والتركى الآتيان بعد .
(٢) ذا : أى هذا والمرسى بدون مد للوزن .

١٤ وبابنِ عطاءِ اللهِ مَن قَولُه حِكَمْ
بها سَرَتِ الرُّكْبانُ فِي سائِر الدُّنا[١]

١٥ كذا الباخِلِي دَاوُدُ ثم مُحمدٌ
بِبحْرِ الصفا سُمِّي وزَاد تَيقنَـــا

١٦ وبابنِ وفَا أعنى عَليـــا له العُلَى
أبو زَكَريا القادِرِى عينُ نُخْرِ نَـــا

١٧ وبالحضْرمِى أَعنى ابنَ عُقْبَةَ أحمداً
وأحمدُ زَرُّوقٌ إليه انتِسابُنَـــا

١٨ كذا بأبِى اسحاقَ أَخْامَ[٢] مَن شُهِرْ
بإِبرَاهِمَ[٣] الزَّرهُونِى ثَبتْ يَقينُنَـــا

١٩ كذا بعَلِى الدَّوارِ وهْو أبو الحسَنْ
بعَابدِ رحمنٍ بمجذُوبٍ أُعِلنَـــــا

٢٠ ونَرجُوكَ بالفاسِيِّ يوسفَ مِنحةً
وعَابدِ رحمنٍ كذا الفَاسِى عُنْونا[٤]

(١) الدنا لغة فى الدنيا · (٢) أخام بفتح الهمزة سكون والفاء .

(٣) ابراهم بدون ياء لغة وهى قراءة متواترة ·

(٤) عُرف بهذا العنوان وهو عبد الرحمن الفاسى أخو يوسف الفاسى وتلميذه وكلاهما عالمان كبيران .

٢١ كذا بِمَحَمَّدْ ذَاكَ(١) فَتْحَا الذى سَما

أيِ ابنٍ لِعبدِ اللهِ مَعْنٌ له كُنَى

٢٢ بقاسمٍ الخَصَّاصِى(٢) أيضا وَأَحمدَا

وذاكَ ابنُ عبدِ اللهِ يارب دُلَّنَا

٢٣ وبالعَرَبِى ذِى السرِّ أيضاً وبالجَملْ

علىٍّ علاَ قَدرًا وهَام ودَندَنا

٢٤ وبالعَرَبِى الدَّرقَاوِى والحاجِّ أحمدٍ

أيِ ابنٍ لعبدِ المُؤمنِ اشْرَح صدُورَنَا

٢٥ وذَاكَ غُمارِى نِسبةً ومحمدٌ

هو ابنٌ لأيوبٍ فيسِّر عَسِيرَنا

٢٦ كذلكِ بالبَنَّانِى عبدٌ لواحِدٍ

محمدُ إبراهِيم ذَا الفاسى ذُو السَّنا

٢٧ وبالسَّيد الصديقِ ذاكَ محمدٌ

إمامُ الهُدى والعِلم نجلُ نَبينَـــا

---

(١) فتحا بترك التنوين للوزن والمراد أن محمدا هذ ابفتح الميم الأولى

(٢) بتشديد الصاد وترك المد للوزن .

٢٨ أَقامَ طريقَ الدِّينِ والفضلِ والتُّقَى
وشَيدَ صَرحَ الحقِّ بالحقِّ مُعْلِنـا

٢٩ كَذا بابْنِه بَحرِ المكارِمِ والنَّدَى
أبِي الفَيضِ[1] شَيخ للطَّرِيقِ بِغربنا

٣٠ إمام جرَى فى كل عِلم مُبرَزاً
وَأحيَا بِه المولَى دَوَارِسَ دِينِنا

٣١ كَذلِكَ عبدُ اللهِ حَافِظُ سُنَّةٍ
لقَد سَادَ حقًّا بِالطرِيقِ لَه الْهَنَا

٣٢ وحَدَّثَ أهلَ العَصرِ مِن فَيضِ عِلْمِه
وأَوسَعَهُم خيراً فَجَازَاهُ رَبُّنَـا

٣٣ إلـهِي بِه ثم الذين ذكَرتُهُمْ
إلى المُصْطَفَى هَبْنَا دواماً رَشَادَنَا

٣٤ ونَحمَدُكَ اللهمَّ حيث أَعنْتَنَا
عَلَى نَظمِ سَاداتٍ بِهِم نبلُغُ الْمُنَى

٣٥ وصَلِّ وَسَلِّمْ سَيدِي كلَّ لَمحْةٍ
عَلَى المصطفَى والآلِ والصَّحبِ نُخرِنَا

---

(١) هو السيد أحمد أكبر أنجال الشيخ وعميد آل الصديق والقائم بشئوون الزوايا الصديقية فى أنحاء المغرب وصاحب المؤلفات الكثيرة النافعة .

فهـــرس